جـامعة عبد الرحمـان ميرة - بجـاية
كلية الآداب واللغـات
قسم اللغة والأدب العربي

مواضع النظر اللغوي

لدى ابن خلدون في كتابه "المقدمة"

مذكرة مقدمة لاستكمـال شهـادة المـاستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: لسانيات

إعداد الطـالبتين
ثيزيري بودراهم
رابحة بوكموش

إشراف الأستاذ
السّعيد خنيش

لجنة المنـاقشة

الأستـاذ(ة) .....، جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية ---------- رئيسا (ة)
الأستـاذ السعيد خنيش، جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية ---------- مشرفا
الأستـاذ(ة) .....، جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية ----------ممتحنا(ة)

السنة الجـامعية2023/2022

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى أستاذي المشرف

الدكتور"السّعيد خنيش"

أتقدّم بجزيل الشّكر، وخالص الامتنان لإشرافه على هذا العمل

فجزاه الله خيرا على توجيهاته ومعلوماته القيّمة

فلولا إرشاداته ودعمه لنا لما قدّمنا لكم هذا البحث

إهداء

ها قد أتى اليوم الذي لطالما انتظرته بعد رحلة وعناء طويلين

جاءت لذة الوصول بعد مشقة الطريق

الحمد لله الذي بقدرته تتم الأمور

و بحوله تتم الصالحات

الحمد لله ما تم جهد ولا ختم سعى إلا بفضله

وكل من كان له الفضل في مسيرتي

إلى أغلى الناس على فؤادي

"أمي الغالية"

و إلى من ضحى بنفسه و كرس حياته من أجلي

إلى من أعتبره قدوتي ومثلي الأعلى

"أبي العزيز" الذي أسأل الله أن يشفيه من كل سقم ويطيل عمره

وإلى إخوتي أقرب أًناس على قلبي

و إلى صديقتي المقربة

و إلى كل زملائي و كل من كان بجانبي طيلة مشواري الدراسي

و إلى أساتذتي الكرام.

ب.ثيزيري

إهداء

لم يكن الطريق سهلا و لم يكن الحلم قريبا ولكن فعلتها بفضل الله تعالى

أهدي تخرجي إلى من أحمل اسمه بكل فخر

إلى "روح أبي" أسأل الله أن يتغمده برحمته الواسعة

إلى "أمي الغالية" أطال الله في عمرها

إلى "أخي توأم روحي"

إلى "خطيبي سندي في الحياة"

إلى "صديقتي الوحيدة"

و إلى كل أصدقائي الذين ساعدوني لإتمام هذا العمل

ب.رابحة

مقدمة

تعتبر اللّغة من أهم الوسائل الرئيسية للتواصل بين البشر على مر العصور، ومما أعطى اللّغة مكانة أنها تعددت واختلفت من مجتمع لآخر، فكل مجتمع يستخدم مفردات مختلفة عن المجتمعات الأخرى للتّعبير عما يحتاج أو يفكر فيه، مما جعل قيمتها تبرز في الفن والأدب والخطابات.

أَولى علماء العرب والإسلام أهميّة للّغة وذلك بالعناية بأصلها وخصائصها ووظائفها لكونها لغة مستقلة ذاتها، وأسفر عن هذا الاهتمام مجموعة من الجهود العربية وذلك لحماية وصيانة كلام الله تعالى الذي كان الدّافع الأول لبداية الدّراسات اللّغوية العربية.

سعى علماء العرب إلى وضع أُسس وقواعد لدراسة اللّغة وذلك بالاطلاع على شتى جوانبها سواء النّحوية، الصّرفية، الدّلالية والبلاغية إلا أن ميولهم إلى النّحو كان بارزًا وذلك لحماية آيات القرآن الكريم من الصّح والخطأ.

فالدّين الإسلامي عموما والقرآن الكريم خصوصاً مهّل الطّريق أمام العرب للنهوض من ذلك السّبات الفكري الذي شهدته البيئة العربية قبل دخول الإسلام. وجعل على عاتقهم مسؤولية الحفاظ على النص المقدس. مما فتح أمامهم الطريق للغوص في أعماق هذه النُّص، فعملوا على تأليف مؤلفات وكتب مختلفة المواضيع ومتنوعة في الدّراسات. حيث قدموا درساً لغوياً عربيا تميّز بالأصالة والدّقة في المنهج الذي انتهجوه خاصة في مجال الدّراسات النّحوية، وهذا ما ميزهم أكثر فأنتجوا موروثا غنيًا لا يمكن لأي قارئ تجاهله أو غضّ النظر عليه، والدّليل على ذلك انبهار الغرب من هذه الدّراسات النّحوية العربية. إلاّ أن المناهج التّقليدية التي بنو عليها درسهم اللّغوي صعب عليهم الطريق إلى وضع دراسات نحوية تتسم بالدقة والغزارة.

إن اللّسانيات العربية الحديثة ما هي إلا امتداد للدّراسات العربية القديمة إلا أن هذه الدراسات الحديثة تتسم بالعلمية وذلك بفضل التطورات الفكرية التي مست الغرب. وما إن

اتصلت الثّقافة العربية بالدراسات اللّسانية الغربية لذلك انفتح الفكر العربي وذلك من خلال الاحتكاك بالمناهج الغربية الحديثة فنتج عن ذلك ميلاد الدرس اللّساني العربي الحديث، إلا أنهم حافظوا على تراثهم الأصيل وحاولوا إبرازه من خلال جهودهم المختلفة.

فبفضل الفكر الذي اتّسم به علماء العرب استطاعوا إرساء بحث لساني جديد نافسوا فيه الدّراسات الغربية حتى أصبح الغرب يجرون دراساتهم على الأبحاث العربية التي تتسم بالغزارة والعلمية.

وبفضل هذا الفكر سعى العديد من علماء العرب إلى الاهتمام باللّغة العربية مع مراعاة جميع جوانبها. اذ يعدّ "**ابن خلدون**" من أهم الأعمدة العربية في المجال اللغوي الذي كان له الفضل في إثراء تراثنا بدراساته وتحليلاته للغة عامة واللغة العربية خاصة.

و تتضح اشكالية بحثنا هذا في:

– ما مواطن النّظر اللّغويّ لدى "ابن خلدون" في "المقدمة"؟.

الأسباب التي دفعتنا للاهتمام بموضوع بحثنا هذا نلخصها في النقاط التالية:

* رغبتنا في لاطلاع على التراث العربي القديم.

* اهتمامنا بالدراسات اللّغوية العربية القديمة.

* سعينا إلى التّعرف على مجهودات "ابن خلدون" اللّغوية.

وسعينا في بحثنا هذا الى تحقيق هدفين أساسيين هما:

*التعرف على مجهود "ابن خلدون".

*مدى إسهام "ابن خلدون" في خدمة اللّغة العربية وعلومه.

وظفنا في بحثنا هذا على المنهج الوصفي وآلية التحليل لملائمتهما في دراسة هذا الموضوع، وفرض علينا طبيعة الموضوع أن يتم بناء هذا البحث على فصل نظري وتطبيقي، وتسبقهما مقدمة وتقفوهما خاتمة.

الفصل الأول عنوناه: الدرس اللغوي العربي و تطرقنا في **المبحث الأول** عن الدّرس اللغوي العربي القديم، **والمبحث الثاني** عن الدرس اللغوي العربي الحديث.

أمّا **الفصل الثاني** عنوناه: جهود "**ابن خلدون**" اللغوية في –المقدمة– تطرقنا في **المبحث الأول** الى منهجية البحث وأدوات الدراسة، **والمبحث الثّاني عبارة عن** دراسة وصفية تحليلية لمواضع النظر اللغوي "**لابن خلدون**"

وفي فترة بحثنا هذا واجهنا صعوبات عديدة ومنها صُعوبة قراءة التراث، لعدم تمكننا من الأدوات الأساسية لقراءته، والضعف المنهجي صعّب علينا التحكم بالبحث. وتبقى إشارات ونصائح المشرف هي خِلاصنا لتجاوز هذه الصعوبات.

كل الشكر و الامتنان لأستاذنا المشرف على اشاراته و نصائحه القيمة الذي لولاه لما استطعنا انجاز هذا العمل، جزاه الله خيرا.

الفصل الأول

الدرس اللغوي العربي

المبحث الأول: الدرس اللغوي العربي القديم

تعد جهود القدماء من علماء العرب في مجال البحث اللغوي الذي بدأ مع قيام الحركة العلمية في القرن الثاني للهجرة، أدق مما عرفته البشرية في عصورها القديمة والدليل على هذا التراث اللغوي الزاخر الذي يمتاز بالأصالة في التفكير والغزارة في الإنتاج والتنوع في الاتجاهات، والعمق والتحليل والدقة في المنهج.

1- المرحلة التاريخية:

لقد اهتمت الحضارات القديمة بدراسة اللغة ومناقشة قضاياها المختلفة، وإن كانت معظم تلك الدراسات مرتبطة بعلوم أخرى من قبيل الفلسفة والمنطق وغيرها. فبعد اطلاعنا على بعض التآليف اللسانية، توصلنا إلى أن هناك شبه إجماع على أن تلك الدراسات لم تدرس اللغة بشكل علمي محض ودقيق رغم أهميتها. ويضاف إلى ذلك ارتباطها في أغلب الأحيان بالدين، وهي في الحقيقة التي صرح بها "أحمد مختار عمر" في قوله:" ويبدو أن كثيرا من المحاولات الأولى للدرس اللغوي التي تمت في أماكن مختلفة من العالم، كانت مرتبطة بالدين وبالعقيدة. نجد هذا عن الهنود الذين بدأوا بحثهم اللغوي لخدمة نصوصهم المقدسة المسماة بالفيدا. ومثل هذا نجده عند الصينيين إن كانت دراسة النصوص الدينية البوذية وغيرها سببا في نشأة المعاجم وكذلك كانت دراسة الشعر الحماسي والديني في اليونان دافعا للتأليف اللغوي، وبدأت دراسات اللغة والنحو في العبرية لخدمة الكتاب المقدس"[1]. والشأن نفسه في الحضارة العربية، فالنحويون واللغويون يرجعون ذلك النضج الكبير والمستوى العلمي الدقيق الذي وسم به الدرس اللغوي العربي إلى السبب الديني حيث سعى القدماء إلى الحفاظ على اللغة العربية وحمايتها من الفساد. وكل ذلك كان في خدمة النص

[1] – أحمد عمر مختار، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، عالم الكتب، ط9، القاهرة، 2010، ص80.

القرآني والحديث النبوي الشريف, مما أدى إلى تأسيس العلوم اللغوية العربية على ذلك الدقة اللامنتاهية. قال حليلي: " فالنحاة الهنود مثل(Panini)بانيني واليونان دوطسراس(Dethrace) واللاتينيون وكل العرب وغيرهم كان همهم الأول وصف اللغة واستخراج قواعدها خدمة للنصوص المقدسة، (تفسير هذه النصوص والحفاظ على لغتها من اللحن بتعبير القدامى، ومن أجل عليم هذه اللغات"[1]، يشير الكثير من الباحثين إلى حضارات عديدة في حديثهم عن الدراسات اللغوية القديمة: " ومن الشائع أن في تاريخ البحث اللغوي أن الهنود والإغريق كان لهم اهتمامات باللغة منذ أكثر من ألفين وخمسمائة سنة"[2].

أما علماء الحضارة المصرية القديمة، فقد "اتجهت أبحاثهم إلى عدة فروع من الدراسات اللغوية، فدرس بعضهم الآثار الأدبية اليونانية القديمة دراسة فونولوجية، واتجه بعضهم إلى وضع المعالم، ودارت كل هذه الدراسات حول اللغة اليونانية وتركزت جميعها في الإسكندرية"[3]، أما الدراسة اللغوية في الحضارة الإسلامية، فإنها لم تكن أضعف وأقل شأناً، ولعل مختلف العلوم اللغوية التي وصلتنا، والتي بلغت درجة عالية لا من حيث الكم ولا من حيث القيمة لخير برهان على ذلك الاهتمام المبكر الجاد في دراسة اللغة العربية. وتجدر الإشارة إلى أننا خصصنا مجالا واسعا في هذا البحث، لعل ذلك بنية توجيه القارئ إلى حقيقة مفادها: أن فلاح الأمة يستدعي بالضرورة الرجوع إلى ماضيها والنظر إلى جهود علمائنا بمنظار التقدير والتعظيم، مع العمل الجاد لتطويره، والاستفادة بما جد في الساحة اللغوية للأمم الأخرى.

---

[1]- حليلي عبد العزيز، اللسانيات العامة واللسانيات العربية، ط1، مطبعة النجاح الجديدة،ط1، الدار البيضاء، ص12.

[2]- أحمد عمر مختار: البحث اللغوي عند العرب مع دراية لقضية التأثير والتأثر، ص57،58.

[3]- المرجع نفسه، ص63.

2- نشأة البحث اللغوي القديم عند العرب:

كادت معارف العرب في الجاهلية مقتصرة على الشعر وحفظه والخطب و الأمثال ورواياته، وأخبار حروبهم وأيامهم والتفاخر بأنسابهم، وعندما جاء الإسلام وسع هذه المعارف وزادها بأفكار القرآن الكريم وتشريعاته وما تضمنه من أحكام ومنهج وأصول وفروع، ومن نزول القرآن الكريم بدأت عناية المسلمين به تفسيرا وجمعا وضبطا ودراسة[1]، لم يؤثر عن العرب أي نوع من الدّراسات اللّغوية قبل الإسلام، ولهذا فهم متأخرون زمنيا عن كثير من الأمم التي سبق أن تحدثنا عن جهودها في الباب السّابق والتي عرف بعضها دراسات لغوية راسخة قبل الإسلام بقرون، ولم يكن البحث اللّغوي عند العرب من الدّراسات المبكرة التي خفوا لها سرعا، لأنهم واجّهوا اهتمامهم أولاً إلى العلوم الشرعية والإسلامية وحين فرعوا منها اتّجهوا إلى العلوم الأخرى، يقول "السّيوطي" في كتابه تاريخ الخلفاء معبرًا عن الفكرة:" أنّه من منتصف القرن الثاني هجري بدأ علماء المسلمون يسجلون الحديث النّبوي، ويؤلفون في الفقه الإسلامي والتفسير القرآني وبعد أن تم تدوين هذه العلوم اتجه العلماء وجهة أخرى نحو تسجيل العلوم غير الشّرعية ومن بينها اللّغة والنّحو"[2]، حيث نشأ الدّرس اللّغوي عند العرب في رحاب القرآن الكريم، لأن العلماء المسلمين توقفوا أمام الكتاب العزيز محاولين فهمه، والتّوصل إلى معانيه، وهذا يجعلهم و يهتمون بدراسة اللّغة الشريفة التي نزل بها، لذلك وجدنا

[1]- محمد حسين آل يسين، الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، مكتبة الحياة، ط1، بيروت، لبنان، 1400م/ 1980م، ص53.

[2]- جلال الدّين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي، تاريخ الحلفاء، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط2، قطر، د.ط، ص173.

علوما لغوية كثيرةً نشأت في رحابه، متّخذة من آياته الكريمة نقطة الانطلاق، ومن بين تلك العلوم ما يتصل بمحاولة معرفة معاني ألفاظه، وإعرابه، وقراءاته، وتفسيره وغير ذلك.

نشير إلى أن القدماء كانوا يجمعون على أن " القرآن كلام الله وتنزيله، فصّل فيه مصالح العباد في معاشهم ومعادهم، مما يأتون ويذرون، ولا سبيل إلى علمه، وإدراك معانيه إلا بالتبحر"[1] في علم هذه اللّغة.

يقول "أحمد أمين:" أكثر اللّغة كتبت في العصر العباسي الأول لا قبله"[2] ، وحتى ما وجد في القرن الأول من تأملات نحوية أو محاولات دراسة بعض المشاكل اللّغوية كان الحاضر إليه إسلاميا، ولم يقصد بذاته وإنما لاعتباره خادما للنص القرآني، ومن ذلك محاولة "ابن عباس" جمع الكلمات الغريبة في القرآن وشرحها (غريب القرآن) وكذلك محاولة "أبي الأسود الدؤلي" (ت69هـ) للضبط المصحف بالشكل لين استحضر كتابا وأمره أن يتناول المصحف.

كانت الجهود اللغوية تقوم على الاهتمام بدراسة النص القرآني حرصاً منهم على تنقية لغتهم وفصاحتها. ولاسيما بعد دخول الأعاجم في الإسلام فاستهدف اللغويون والنحاة جمع لغتهم لحفظها من التشويه والتحريف، ولفهم النص القرآني، والوقوف على معانيه والإحاطة بدقائقه، واجتنابا التحريفات سواء في الأصوات والألفاظ أو في المعاني، وكذلك الأساليب والقواعد، وقد قال "ابن خلدون" في هذا الشأن: " انه لما فسدت ملكة اللسان العربي في الحركات المسماة عند أهل النحو –بالإعراب– واستنباط القوانين لحفظها كما قلنا، ثم استمر ذلك الفساد إلى موضوعات الألفاظ فاستعمل كثير من كلام العرب في غير موضعه عندهم ميولا مع لجنة المتبرعين في اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية، فاحتيج إلى حفظ

[1]– السيوطي : المزهر في علوم اللغة وأنواعها،ج1، دار أحياء الكتب العربية، القاهرة، ص302/2.

[2]– أحمد أمين ضحى الإسلام،ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، مصر1997م، ص298.

الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين خشية الدروس، وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث فشعر كثير من أمة اللسان لذلك واصلوا فيه الدواوين"[1].

لاحظ أن العامل الديني يؤدي دورا كبيرا في الاهتمام بالدراسات اللغوية العربية وجهودهم فيها، وقد انتهج علماء العربية وضع القواعد التي تصف هذه اللغة وصفا محكما ودقيقا، والقيام بذلك منهجا تميز في البحث اللغوي معتمدين على ذوقهم وإعمال العقل ودقة الملاحظة، وكان في إطار الدراسة القرآنية وقد كان لتلك الجهود اللغوية العربية فضل السبق في الوقوف على كثير من الظواهر الصوتية والنحوية، والدلالية وكذلك البلاغية والصرفية، التي أفادت المحدثين إفادة جمة ولاسيما الغرب، قال "فيرث" في هذا الشأن: " لقد نشأت الدراسات الصوتية ونمت في أحضان لغتين مقدستين العربية والسنسكريتية"[2]، وقد بيّن هذا الأخير أن الفضل يعود للعرب والهنود في نشأة الدراسات الصوتية، وقد ركز المنهج العربي في ذلك على دراسة اللغة المشتركة، وهو المستوى الذي اتفق عليه بين المتحدثين بالفصحى.

اهتم عدد من الباحثين العرب في علوم اللغة منذ بداية الحركة العلمية في إطار الدولة الإسلامية، فكانت لهم جهود في مجالات الأصوات وبناء الكلمة والجملة والمفردات، فكان المنشغلون بعلوم اللغة يصنفون إلى مجموعتين: الأولى تهتم ببنية اللغة والثانية تهتم بمفردات اللغة ودلالتها، الأولى سميت بالنحو وعلم اللغة العربية، أما الثانية أطلق عليها اسم اللغة أو علم اللغة.

---

[1]– عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ت: علي عبد الواحد وافي، دار النهضة، ط3، ج3، القاهرة، مصر، ص2268.

[2]– عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، دار المعرفة الجامعة، ط2، القاهرة، 1995م، ص10،11.

3- مستويات الدراسات اللغوية العربية القديمة:

يقوم التحليل اللغوي على تفكيك الظاهرة اللغوية إلى عناصرها الأولية التي تتألف منها، حيث يسعى إلى دراسة اللغة لمعرفة أنواع الأصوات، ومواقعها وسماتها، ووحداتها الصوتية، ومتغيراتها، والوقوف على السوابق واللواحق وغيرها من الصفات الأخرى. وتتنوع طرق التحليل اللغوي تبعا لتنوع المستوى اللغوي الذي تنتمي إلية الظاهرة اللغوية المراد تحليلها، فلكل مستوى لغوي خصائصه ووظائفه القائمة عليه. فاللغة بدورها تشتمل على مستويات تساعدها على استخلاص خصائصها واكتشاف خفاياها. فهذه المستويات سنرددها كالآتي:

الأول: المستوى الصوتي، الثاني: المستوى الصرفي، الثالث: المستوى النحوي، الرابع: المستوى الدلالي.

وسنفصل أكثر حول هذه المستويات في هذا العنوان من بحثنا نظرا لتأثيرها على البنية اللسانية للغة العربية.

أولا: المستوى الصوتي:

أولى الباحثون أهمية باللغة الأصوات في اللغة العربية وذلك لاستخراج البنى النظامية لحركة الأصوات ودراستها، فهو" المستوى الذي يعني بدراسة الأصوات اللغوية: من حيث مخارجها وصفاتها، وكيفية النطق بها"[1]، فهو مستوى يهتم بالكلمات؛ من حيث البناء الصوتي لها. وكان الدافع من الاهتمام بهذا الجانب الصوتي محاولة فهم آيات القرآني الكريم، وهذا الفهم لا يستقيم إلا إذا كانت اللغة المستخدمة واضحة سلمية نطقا وتركيبا بالخصائص المميزة لأصواتها. حيث ظهر العلم عند القراء ومجيدي القرآن الكريم، ثم بعد ذلك تناوله النحاة والمعجميون واللغويون مثل "الخليل بن أحمد" و"سيبويه" و"الجاحظ" وغيرهما من العلماء في مختلف تخصصاتهم، فالدرس الصوتي عند العرب من أصل

[1]- خلف عودة القيسي، الوجيز في مستويات اللغة، دار يافا العلمية، عمان، 2010، ص15.

الجوانب التي درسوا فيها المستوي الصوتي، وأقربها إلى المنهج العلمي، مما دفع "فيرت" إلى القول: " لقد نشأت الدراسات الصوتية ونمت في أحضان لغتين مقدستين: العربية والسنسكريتية"[1].

كان أبا الأسود الدؤلي أول الدارسين العرب الذين مهدوا إلى هذا المستوى وذلك بوضعه "نقط الأعراب ونقط الإعجام" الذي بفضلها ساعدت على فهم آيات القرآن. فتوالت اهتمامات العرب بهذا الجانب الصوتي حتى أقام "الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين" الذي صنف أول مصدر واهتم بالدراسات الصوتية العربية، حيت رتب فيه مخارج أصوات العربية من الحلق إلى الشفتين، حيث قام " منهج التأليف العين على نظرية صوتية وضعها الخليل وهي الأخذ بالمخرج الصوتي لترتيب الحروف في المعجم ترتيبا يبدأ من الحروف التي تخرج من الحلق تم تقدم شيئا فشيئا حتى انتهى بالحروف التي تخرج من الشفّة، تم بعد ذلك حروف العلة ثم الهمزة"[2]،وتوالت بعد هذا مدارس عديدة حول الدراسات الصوتية لمدرسة النحاة الصوتية، صنف أصحاب هذه المدرسة الأصوات من خلال ثنائية المخارج والصفات وكان سيبويه رائد هذه المدرسة حيث قام "بذكره لصفات الأصوات المفردة منها والتي الجهر والهمس والشدة والرخاوة والتوسط، وكشفه لملامح الانطباق واللين، وتمييزه لمظاهر الاستطالة والمد والتفشي، كل أولئك مما يتوج صوتياته بالأصالة"[3]، فكانت دراسات ومجهودات "سيبويه" في هذا المجال لا تعد ولا تحصى.

ظهرت مدرسة علماء البلاغة والإعجاز والنقد وكان أهم روادها "الجاحظ" و"الرماني" حيث كانت جهودهم ضئيلة في هذا الجانب إلا أنه "اضطرتهم الحال في الكثير من الأحيان

[1] – عصام نور الدين، علم وظائف الأصوات اللغوية، الفونولوجيا، دار الفكر اللبناني، 1992، ص161.

[2]– علاء جبر محمد، المدارس الصوتية عند العرب النّشأة والتطور، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2006، ص26.

[3]– محمد حسين علي الصغير، الصوت اللغوي في القرآن، دار المريخ العربي، بيروت، لبنان، ص53.

إلى عرض بعض المسائل الصوتية في مؤلفاتهم، وكانت مباحثهم طبقا لتوجه علم المعاني. وتزاحم الأصوات في قبول ذائقتها النطقية أو السمعية أو من خلال: تنافر الحروف، وتلاءم الأصوات، التعقيد اللفظي، التعقيد المعنوي، فصاحة اللفظ المفرد..[1]

أما المدرسة الصوتية للغويين كان رائدها "ابن جني" وهو أيضا من أهم العلماء العرب الذين وضعوا بصمتهم في الدراسات الصوتية التي نفتن فيها، ولعل من أهم مجهوداته نجد "المقدمة الصوتية" التي عرض فيها مسائل تدخل ضمن علم الأصوات العام. ثم عدد أصوات العربية واهتم بمخارج وصفات هذه الأصوات ثم بعد ذلك انتقل إلى دراسة بالتفصيل كل صوت حسب الترتيب الألفبائي. و تنحصر مجهودات "ابن لجني" في الدراسات الصوتية على كتاب واحد فقط بل ألف كتب أخرى لا تقل قيمة عن كتابه الأول "سر الصناعة". لذا يجمع معظم الدارسين على أنه "نهض... بأعباء الصوت اللغوي بما يصح أن نطلق عليه اسم الفكر الصوت الصوتي إن تجاوز مرحلة البناء والتأسيس إلى مرحلة ألتأصيل والنظرية، فقد تمحض لقضية الأصوات في كتابه (سر صناعة الإعراب) مما جعله في عداد المبدعين، وخطط لموضوعات الصوت مما اعتبر من المؤصلين"[2].

اهتمت مدارس أخرى بالدراسات الصوتية العربية إلا أننا سنكتفي بهذه المدارس التي تطرقنا إليها وفي خلاصة القول أن مجهودات علماء العرب حول موضوع الدّراسات الصوتية لا تعد ولا تحصى ولكل عالم خصائصه ورؤيته الخاصة به إلا أنهم حافظوا على أصوات اللّغة العربية حيث يقول "الطيب عمر" إنّ أهم ما يميز أصوات اللغة العربية، هو ثباتها واستقرارها على حالها، فهي لم تتغير ولم تتبدل مع مرور السنين والعصور، وأن العربية لم تفقد أيا من

[1]– محمد حسين علي الصغير، الصوت اللغوي في القرآن، دار المريخ العربي، بيروت، لبنان م، ص53.
3–المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

أصواتها... والتنوع النّسبي في النطق ببعض تلك الأصوات"[1]، فكل هذه الدّراسات الصوتية جاءت لخدمة القرآن الكريم خوفا من اللحن والتحريف.

ثانيا: المستوى الصرفي:

كان الدّافع الأسمى من ظهور الدراسات الصرفية هو المحافظة على سلامة القرآن ونصوص التّشريع المختلفة، هذا ما دفع علماء العرب بالاهتمام والعمل بالجانب الصّرفي وذلك من أجل صوت اللّسان من الوقوع في الخطأ، حيث قامت الدراسات العربية القديمة على النحو والصرف، إذ نشأت النظرية الصرفية القديمة على قضية الأصل الذي يجعل بعض الصيغ أصولا والصيغ الأخرى فروعا. "متبعين في ذلك مبدأ توحيد الأنظمة، فهو مبدأ لعب دورا خطيرا عند العرب كثيرا ما جرهم إلى التأويل والتخريج والافتراض، لأنهم مضطرون بإتباعه غلى جمع الأشتات من الأمثلة تحت قاعدة واحدة ولو تنطبق عليها كل الانطباق"[2]، فبعد الفتوحات الإسلامية واختلاط العرب بالأعاجم حمل علماء العرب على عاتقهم مهمة حماية وصيانة القرآن من كل تصحيف وتحريف وحسب بعض العرب أن "علي بن أبي طالب" أول من فطن إلى الخطأ في بعض أبنية الكلمات هيأتها عند بعض المتكلمين حيث " يتوفر علم الصرف على تبيان تأليف الكلمة المفردة بتبيان وزنها وعدد حروفها، وحركاتها وترتيبها، وما يعترض لذلك من تغيير أو حذف، وما في حروف الكلمة من أصالة وزيادة"[3]، وقد أولى علماء العرب الدراسات الصرفية دقة وذلك لدراسة بنية الكلمات واشتقاقاتها وأوزانها القياسية وقد انطلق سيبويه في حديثه عن البنية الصرفية من تعريفه للتصريف الذي يعرفه بقوله: "أن تبني من الكلمة بناء لم تبنه العرب على وزن ما

[1]– عبد المجيد طيب عمر، منزله اللغة العربية بين اللغات المعاصرة، جامعة أم حرمان الإسلامية، ط2، مصر، ص124.

[2]– عبد المقصود محمد، دراسة البنية الصرفية في ضوء اللسانيات الوصفية، دار العربية للموسوعات، بيروت، 2006، ص122، ص123.

[3]– عبد الهادي فضلي، مختصر الصرف، دار القلم، بيروت، ص7.

بنته ثم تعمل في البناء الذي بنته"[1]، حيث الدراسات الصرفية عند العرب لم تكن قائمة بذاتها وذلك لأنها كانت مرتبطة دائما بالدراسات النحوية، على الرغم من محالات النحاة إلى الفصل بينهما، ولكن بقي علم الصرف يدور في فلك الدراسات النحوية[2].

ثالثا: المستوى النحوي:

كان اختلاف المسلمين في قراءة القرآن السبب المباشر الاهتمام بالدراسات النحوية وهو حماية القرآن من كل أشكال التصحيف والتحريف وذلك نظرا لاختلاط العرب بالأعاجم مما أدى إلى فساد الألسنة اختلاف الألفاظ بين الناس ودخول اللحن. وكان "الفراء" من النحاة الأوائل الذين اهتموا بالدراسات الصوتية أو بالأحرى بالدراسات القرآنية. فعمل على صيانة كلمات لآيات القرآن ويرى "ابن جني: " أن النحو انتحاء سمت كلام العرب، في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك"[3]، وهو قانون يتوصل به إلى كلام العرب[4]. وقد اتخذ النحاة من أواخر الكلمات العلامات الإعرابية أساس ينطق منه النحو. ومن أسباب الاهتمام بالنحو لحفظ اللغة العربية من الفُسد لأن قد اختلطت بالعامية، حيث أكثر العلماء ينسبون ظهوره في الإسلام، بسبب الحاجة الماسة إليه لضبط اللسان وصيانته من الخطأ وتعليم الأعاجم نمط الكلام بالعربية، ويرجع أكثرهم مصدره وأساس تطويره إلى الإمام "علي بن أبي طالب" فأخذ "أبا الأسود الدؤلي" سنة هذا العلم حيث قسم الكلام إلى اسم وفعل وحرف، لكن بعد الفتوحات التي عرفتها البلاد الإسلامية مما بدر عن هذا اختلاط العرب مع الغرب ازداد اللحن فشوا وانتشارا حيث كان

[1]– سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ج4، القاهرة، ص241.

[2]– خديجة الحديفي، أبنية الصرف في كتابه سيبوسه، مكتبة النهضة، ط1، بغداد، 1965م، ص27.

[3]– أبو الفتح ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ط1، ج1، مصر، 1952م، ص34.

[4]– موفق الدين يعيش بن علي، سرح مفصل، عالم الكتب، ج1، بيروت، ت643هـ، ص17.

يجري على لسانه من لحن[1]،لذا قد اهتم علماء العرب قديما بالدراسات النحوية وذلك لفهم القرآن الكريم بصورة صحيحة، فإن تشكيل الكلمات ومحلها من الإعراب يغير من المعنى كثيرا منها خصوصا لأن اللغات الأخرى الأعجمية قد تسببت في فساد اللغة إلى حدّ ما، لذا فإن الدراسات النحوية أتت بقواعدها لتصحح تلك الأخطاء.

رابعا: المستوى الدلالي:

يعد البحث في دلالة الكلمات من أهم الأعمال اللغوية المبكرة عند العرب، وقد أثر عن العلماء في هذا الميدان مجموعة من المؤلفات اللغوية منها: "غريب القرآن لابن عباس"، "غريب القرآن لأبي سعيد البكري"، و"غريب الحديث لأبي عبيدة معمر بنو المثنى".

كانت الدلالة عند العرب من أهم القضايا التي لفتت أنظارهم وأثارت اهتمامهم، وتعني دراسة المعنى أو العلم الذي يدرس المعنى، حيث يمكن دراسة النص اللغوي عن طريق تحليل معاني الكلمات والكشف عن العلاقات الدلالية بينها.

أولى القدامى قيمة للدلالة وذلك لارتباطها بجميع فروع اللغة فتوسعوا داخل ثناياه خاصة في ثنايا القرآن الكريم من خلال مفرداته ومَجَازِه وذلك لتعدد القراءات القرآنية التي أثرت على معاني القرآن، فكل مرة يقرأ فيها تتجدد فيه دلالات الكلمات والآيات والسور، فلا يمكن عزل الكلمات لوحدها لفهم دلالتها لأنها كل كلمة تحمل معنا خاصا بها ففي القرآن ارتباط الكلمات قيما بينها لمعرفة دلالتها وما أمره الله تعالى علينا حيد لا يمكن الوصول إلى تجديد واضح دقيق لدلالة كلمة ما بمعزل عن مجموعتها الدلالية، فعمي الكلمة يتحدد على أساس علاقتها بالكلمات الأخرى الواقعة في مجالها الدلالي، السبب دفع العرب إلى الاهتمام يمثل هذه الدراسات هو محاولة فهم القرآن الكريم والتمعن في آياته لما يحمله من معان. فعملوا على استخراج نظمه وأساليبه، مع الوقوف على أسرار بلاغته.

[1]– الجاحظ، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، ج2، بيروت، 1463هـ، ص204.

4- أهم المناهج اللّغوية العربية القديمة:

للإنسان قدرات معرفية تمكنه من معرفة اللغة التي يتميز بها، لذلك يهتم باللغة بإتباع مجموعة من النظريات والمناهج ومن هذه المناهج: المنهج الوصفي، المنهج التاريخي، المنهج المعياري.

بَنا علماء اللغة عدة مناهج لدراستها، ولكل منهج خصائصه وسماته الخاصة به، كما لها نقائصها وسلبيتها إلا أن هذه المناهج متكاملة فيها بينها وهذا ما يسمح للباحث أن يختار ما يلائمه من هذه المناهج، وسوف نركز على هذه المناهج الثلاثة في هذا العنوان من بحثنا:

1-المنهج الوصفي:

يحظى المنهج الوصفي بمكانة خاصة في مجال البحوث التربوية، حيث أن نسبة كبيرة من الدراسات التربوية المنشورة هي صفية في طبيعتها، وأن المنهج الوصفي يلاءم العديد من المشكلات التربوية أكثر من غيره، وليس سهلا كما يبدو، فهو يتطلب أكثر من عملية وصف الوضع القائم للأشياء، فالمنهج الوصفي هو وصف الباحث للظاهرة المراد دراستها أو جمع أوصاف ومعلومات دقيقة عنها، يعتمد على دراسة الواقع والظاهرة المدروسة وتصويرها عن جمع معلومات وتصنيفها وتحليلها وإخضاعها للدراسة الدقيقة. ويصف هذا المنهج لغة محددة في مكان وزمان محدد، فالمنهج الوصفي يصف الحقائق ويناقشها دون فلسفة أو محاكمة لها أو الفهم المنطقي في تفسير وتأويل لظواهر اللغوية وتأويلها[1]،

وقد قسم اللّغويون المنهج الوصفي إلى قسمين[2] هما:

*المنهج الوصفي التفسيري: وهو تفسير الظواهر بعد تحليلها ووضعها.

[1]- محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب، القاهرة، 2005،ص95.

[2]- محمد السيد علي بلاسي، المدخل إلى البحث اللغوي، دار الثقافة للنشر، القاهرة، 1999، ص46.

* الوصفي التقريري: هو الوصف دون التعليل والتفسير ومن الأهمية أن نتوافر لدى أي باحث وصف دقيق لما يقوم بدراسته من ظواهر قبل أن يمضي في خطوات واضحة لحلل المشكلات التي اقتضت بدراسة هذه الظواهر.

2-المنهج التاريخي:

يعد المنهج التاريخي أحد التصنيفات الأساسية لمناهج البحث العلمي. ويشاركه في ذلك كل من المنهج الوصفي، والمنهج التجريبي.

يعرف بالمنهج التاريخي هو:" الطريقة التاريخية التي تعمل على تحليل وتفسير الحوادث التاريخية، كأساس لفهم المشاكل المعاصرة، والتنبؤ بما سيكوون عليه المستقبل..."[1]،كما هو منهج علمي لأنه يتبع خطوات المنهج العلمي في تحديد المشكلة وتجميع المعلومات الأساسية عنها ثم صياغة الفروض كلما أمكن ثم تجميع الأدلة التي تختبر بها الفروض[2]، ويبحث هذا المنهج من خلال تطور وتغير القضية اللغوية خلال التاريخ بعد مرور وقت ما. كما يتّضح أساس العمل بالمنهج التاريخي بتتبع الظاهرة اللغوية على فترات متعددة من الزمان يقصد التعرف على ما أصاب اللغة من تغير أو تطور[3]، وهذا المنهج يتعامل مع الظاهرة الأدبية من زاوية سياسية، فكلما تقدم العمر سياسيا، ازدهر الأدب، وكلما ضعف العمر ضعف الأدب، وهذا المنهج ظهر لأول مرة ف أوروبا وبالضبط في فرنسا مع "أندري دوشيسمون" الذي ألف كتاب (تاريخ فرنسا الأدبي) سنة 1967م[4].

والمنهج التاريخي ميدانه هو اللغة المعينة دراسة تاريخية من حيث قواعد ومفرداتها، واتجاهات أساليبها في مراحلها المختلفة التاريخية، فيتتبع اللغة منذ عصرها القديم كيف

[1]- حسن عثمان، منهج البحث التاريخي، دار المعارف القاهرة، 1980، ص20.

[2]- أحمد بدر، مناهج البحث في علم المكتسبات والمعلومات، دار المريخ، الرياض، 1988، ص119.

[3]- محمد السيد بلاسي، المدخل إلى البحث اللغوي، دار الثقافة للنشر، القاهرة، 1999، ص48.

[4]- محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار النهضة مصر، ط3، القاهرة، 1977، ص62،61.

كانت مفرداتها ومعانيها وكيف كانت قواعدها، التي تنظم الكلمات من أحوال إعرابية واشتياقها وصرفية وكل ما تقتضيه من أحكام لغوية وأدبية وبلاغية، ويتناول كل التغيرات والتصرفات التي مرت بها المواد اللغوية والعوامل التي أثرت فيها ونتائج كل ذلك، فيدرس اللغة دراسة طويلة ويتبع الظاهرة اللغوية في عصور مختلفة، وعالم اللغة التاريخي فاللغة تتفاوت في أهميتها تبعا لمدى انتشارها وسهولة معرفة تاريخها الماضي.

3-المنهج المعياري:

وهذا المنهج عبارة الدراسة اللغوية الذي يضع الضوابط والقوانين التي تحكم الاستعمال اللغوي في مستوياته المختلفة بحيث يعد الخروج عليه ضربا من ضروب اللحن والغلط ويكون الالتزام بها التزاما بالمستوى الصوابي الذي يسير عليه المتكلمون باللغة المعينة[1]،فهو منهج للبحث يهتم بوصف اللغة كما يجب أن تكون لا كما هي كائنة، وقد استنبط علماء العربية القدامى المعايير وضوابط اللغة من مصادرها: القرآن الكريم، القراءات القرآنية، الحديث النبوي الشريف، كلام العرب شعره ونثره حتى نهاية عصور الاحتجاج اللغوي.

ولذا نستطيع أن نقول أن المنهج المعياري له أهمية بالنسبة لعالم اللغة في كل الجوانب اللغوية.

عرّفته المنظومة النحوية "المنهج المعياري من المناهج البحث اللغوي وأكثرها إثارة الجدل وثبات قدم المجالات الدرس اللغوي، وهو يهدف إلى التوصل إلى شكل من أشكال النحو، يسمى النحو المعياري ويتضمن لونين من القوائم: قائمة من القوانين المتعلقة بإيضاح الاستخدام المناسب للصيغ والتراكيب وقائمة من صور النهي الخاصة بالأشكال والتراكيب التي ينبغي أن تتجنب"[2]، ووظيفة هذا المنهج هو بيان الخطأ والصواب في اللغة ومحاولة

[1]- محمد السيد بلاسي، المرجع السّابق، ص63.

[2]- ممدوح عبد الرحمان، المنظومة النحوية، دار المعرفة الجامعة الإسكندرية، 2000م، ص312.

فرض قواعده على مستخدمي اللغة حفاظا على أصولها. والمنهج المعياري حسب أعمال اللغويين العرب يعتمد في وضع قواعده على خليط من المبادئ والاتجاهات، ومصادر اللغويين في استنباط اللغة ومعاييرها في القرآن الكريم، القراءات القرآنية، الحديث النبوي، الشعر والشواهد النثرية.

المبحث الثاني: الدرس اللغوي العربي الحديث:

شكلت اللسانيات إحدى السمات المميزة للقرن العشرين وبداية القرن العشرين، وبداية القرن العشرين، فاللسانيات هي العلم الذي يدرس اللغات الطبيعية الإنسانية، مع إعطاء الأسبقية لهذه الأخيرة لأنها مادة خامة تساعد أكثر على التحقق من مدى فعالية أدوات البحث اللساني المعاصر.

اهتم القدامى باللغة وتفكيك رموزها ومعالجتها وحروفها من خلال نطقها وتلفظها " وقد أبدع العرب آنذاك في بحثهم للغة، فشهدت لهم سائر الشعوب القديمة والحديثة بذلك"[1]، وقد أحدث الاتصال والتحديث والترجمة نوعا من التقارب بين الدرس اللغوي العربي والدرس اللغوي الغربي، فظهر هذا العلم الجديد في تراثنا خاصة في درسنا اللغوي والنقدي، وكان عاملا من العوامل الانبعاث لذلك أثر احتكاك العرب بالغرب بالإيجاب على الدراسات اللسانية العربية، فعمل العلماء العرب على تطوير وتعزيز الدراسات اللغوية العربية وتزويدها بمعارفهم وتحليلاتهم ودراساتهم.

1- نشأة الدرس اللغوي العربي الحديث

بعد مرور مدة طويلة من العطاء والإنتاج الفكري الذي ميز البيئة العربية، جعل بعض الباحثين يقولون أن اللّغة التي نالت أكثر اهتمام وبحث هي اللغة العربية، عاشت البيئة العربية سباتا فكريا، وذلك بسبب الإستعمارات الأوربية. وبذلك شهدت عوامل الازدهار إلى أوروبا بعدما عرفت نهضة علمية في شتى مجالاتها، وهذا ما ساعد العرب على فتح أذهانهم إلى إعادة دراسة لغتهم بشكل مختلف عن الدّراسات العربية القديمة.

1- منير زكي، النماذج المعرفية الحديثة الإكتساب اللغوي، التوجه التكنولوجي في البحث، ووحدة البحث في تحليل الخطاب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط1، صفاقس،2006،ص3.

وقد كانت هذه النهضة العربية نتيجة حملة نابليون بونابرت على مصر، فكان من ذلك أن أطعمت اللغة العربية بألفاظ جديدة وكانت هذه الألفاظ "تتعلق بشتى علوم وفنون وصناعة المدنية العصرية كالمخترعات وأجزائها وشتى العقاقير والأدوات وأصناف المطاعم والمشارب وأوانيها وضروب الأثاث وما إليه، ومظاهر الحياة الحضرية من ألعاب ومجامع ونحوها".[1]

نتج عن ذلك ازدهار في شتى ميادين الحياة، فحاول العرب الاستفادة من هذه المستجدات بنقلها غلى اللغة العربية ونثرها في المجتمع، فكانت الترجمة أول وجهة للعرب واعتمدوا عليها من أجل هذا " تطلبت الحركة الفكرية الجديدة بمصر وغيرها من الأقطار العربية من اللغة العربية جهودا جبارة لمواكبة مظاهر التحولات التي عرفتها مناحي الحياة العربية، مما نشأ معه حركة لغوية جديدة تمحورت أساسا حول الترجمة على العربية وإيجاد المصطلح العربي الملائم".[2]ونظرا لهذه المواكبة الفكرية الغربية على مصر دفعت محمد علي الذي حكم مصر في هذه النهضة إلى إرساء النهضة العربية من خلال البعثات العلمية التي كان يوفدها غلى أوروبا، كما قام بتشجيع الترجمة غلى اللغة العربية، وأنشئت المدارس والمعاهد العلمية بإشراف العلماء من أمثال رفاعة الطّهراوي(1801م،1879م) الذي أقام مدرسة الألسن والترجمة في مصر التي أقرها سنة 1837م. وبعد ذلك شهدت البلاد العربية في جميع النواحي بعثات فكرية، فبرزت في تونس مدرسة بارد والعسكرية التي تأسست سنة 1840م، وكانت تعني بترجمة النصوص والمؤلفات الأوربية إلى اللغة العربية.

كان للباحثين العرب الذين استفادوا من البعثات العلمية إلى أوروبا أثر كبير وفضل كثير في نشر العلوم وإدخالها غلى الحضارة العربية، لم تقصر هذه النهضة على مصر فقط، بل

[1]– مصطفى غلفان، اللّسانيات العربية أسئلة المنهج، دار ورد، د. ط، عمان، الأردن، 2013م، ص69، ص70.

[2]– المرجع نفسه، ص69.

مسّت كل البلدان، حيث كان لبنان من رواد النّهضة الفكرية، ولعل ساعدها حركة التحرر الوطني المبكرة التي خاضتها لبنان قبل غيره من البلدان العربية، وطبيعة تكوين المجتمع اللبناني المتحلية من شرائح عرقية ودينية ولغوية متنوعة. كما " كان اللُّبنانيون في مهاجرتهم بين مشرق ومغرب قد خالطوا الشعوب وتقبلوا في مختلف الحضارات. وكانت المطابع قد كثرت وكثرت الجرائد(...) وبدأ في الأُلفة و المجتمع والمعاش ألفاظ لا عهد لجماعتنا بها".[1] وبالنّظر إلى الدوافع التي ذكرناها هناك دافع آخر سعى إلى تنوير العقل العربي وبعثه من جديد، وهو العمل الكبير الذي عمله المستشرقون لنقلهم للمناهج والمعارف الغربية إلى الثقافة العربية عندها قامت مصر بجلبهم للتدريس في المدارس والمعاهد التي أنشأها، فكان لهؤلاء المستشرقون أثرا كبيرا لبعث ونشر هذه المعارف والعلوم ونقلها إلى الطلبة الذين لم يسعفهم حظ الهجرة إلى أوروبا فبقوا يدرسون في المعاهد والمؤسسات داخل الوطن.

إن تحديد النّشأة فيما تتعلق بالدّرس اللّساني العربي الحديث يرتبط برصد ظروفها وملابساتها، جاء ابتدءا "بعصر النّهضة العربية" أوائل القرن التاسع عشر الذي كان وليد ظروف التدخل الاستعماري في البلاد العربية[2]، وبعد ذلك عرف العالم العربي في ظل هذه التّحولات العلمية المعرفية الكبرى التي طرأت على اللسانيات ظهور حركة علمية تشكلت عبرها أعمال كثيرة متفاوتة العمق والقيمة، ومراجعات مثمرة تنطلق مما تركه قدماء العرب في شتى تخصصاتهم المعرفية، فكان لعلماء العرب فضل كبير في بعث هذا التحول المعرفي في البيئة العربية بأكملها.

[1]– مصطفى غلفان، المرجع السابق، ص65.

[2]– محمد عابر الجبري، الخطاب العربي المعاصر، دار الطبعة، ط1، بيروت، 1971، ص18.

2- علاقة الدرس اللغوي الغربي بالعربي:

عرفت النّهضة الغربية حركة تطويرية مهمة في مختلف ميادينها وخصوصا في ميدان اللّغات فبدأت هذه النّهضة من وضع نظريات ومناهج حتى انتهت إلى تأسيس مدارس لسانية، فعزز ذلك من ظهور التّيارات الفكرية اللّسانية المتخصصة في دراسة علوم اللّسان مادة ومنهجا. وكل هذه التّحولات والنّظريات والمناهج اللّسانية مست الفكر اللساني العربي، فاستجابت اللغة العربية إلى هذا النداء العلمي المثير، واعتبرت هذه الاستجابة نقطة انطلاق في حقل اللّسانيات العربية، فانقسم المشهد العربي بين مؤيد ومعارض لهذه الانطلاقة ولكن هناك بعض المؤيدين يرون أن هذه المناهج والتحولات المعرفة بحاجة ماسة إليها للنهوض من ذلك السّبات الفكري الذي مس البيئة العربية آنذاك، وبعد هذا ظهرت تيارات لغوية أدبية تنادي بالقومية وأخرى تنادي بإحياء التراث وتمجيده، وفريق آخر تهافت إلى مناهج الغرب مادة وشكلا. فباتت اللّغة العربية بين محكيين هما التجديد و التقليد. إلا أنهم في الأخير اتفقوا على فكرة المزاوجة أي التّمسك بالتّراث واستيراد المناسب من البعثات الغربية والفكرية وهذا هو الصواب من حيث المبدأ لأن "الأصالة تعني النمو والتطور والاستمرار والتكيف بعيدة عن كل جمود وركود".[1] الا أن هذين التيارين سعوا إلى إعادة بعث التراث العربي من جديد فكل منهما سلك الطريق الذي يرى أنه الصحيح أمثال كمال بشير، ومحمود سعران وأحمد المتوكل والقافلة طويلة فالتقليديون حاولوا إحياء التراث العربي بنفس المناهج والأسس القديمة أما التجديديون يردون بعث اللّغة العربية من جديد انطلاقا من تراثنا العريق والبحث فيه لانتقاء المناسب والملائم الذي تكون له القدرة على التجاوب "عبد الرّحمان حاج صالح "و"الخليل أحمد الفراهيدي" اللذان سعيا إلى رسم الطريقة المثلى في "تجديد اللغة العربية" من وصال التراث. ولكنه ظهر فريق ثالث وفق الوسيط بين هذين التيارين السّابقين. أن هذا

[1]-سالم العلوي، وقائع لغوية وأنظار نحوية، دار هومه للطّباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2000، ص13.

الفريق الثالث آمن بأن "الأصالة في المعارف المتصلة بالعلوم الإنسانية لا يمكن تعني الاكتفاء بنفسها والانغلاق على الذات دون سعي من أجل التطور، كما غدا مرارا أن الحداثة لا يمكن أن تعني الإنسلاخ عن التراث وإهدار ما بناه الأقدمون".[1]

ظلّ البحث اللّغوي في البيئة العربية مقتصرًا على النحو و الصرف والمناهج التقليدية القديمة كالمنهج التاريخي المقارن. وكانت نقطة التحول في التّراث العربي عندما بدأ عدد من الطلبة المصريين الذين استفادوا من البعثات إلى أوروبا من تخصصوا في علم اللّغة يعدّون وينشرون منهج جديد والاستفادة من آرائهم وأفكارهم وكذلك تتبع النظريات اللّغوية التي كونوا فيها، وهذا ما ساعد الطلبة العودة إلى البلاد العربية محملين ومزودين بمجموعة من الأفكار والإجراءات الجديدة التي لم تمر على هذه البلاد سابقا، فكانت هذه الأفكار والإجراءات بمثابة ثورة في البحث اللغوي العربي سواء عند المجددين أو المقلدين. ومن هنا بدأ هؤلاء الطلبة بوضع المؤلفات للتعريف بمنهجهم الجديد الذي جاءوا به، لكن الغريب في الأمر أن التعريف بهذا المنهج جاء من عالم في الاجتماع هو الدكتور علي عبد الواحد وافي الذي نشر عام 1941 كتابين أحدهما بعنوان علم اللغة والأخر بعنوان فقه اللغة.[2]

بعد ذلك توالت مؤلفات جديدة أخذت عاتقها مهمة التعريف بهذا المنهج الجديد في دراسة اللغة، وعرف هذا المنهج رواجا واسعا في أرجاء البلاد العربية حيث إن بعض اللغويين وصلوا إلى حد نقد النحو العربي مستندا على الحصيلة المعرفية الغربية إلا أن غيرة بعض العلماء العرب على تراث بلدهم دفعهم إلى الدعوة لإعادة إحيائه والتمسك بما جاء به الخليل وسيبويه وغيرهما، وعدم الجري وراء الدراسات الغربية، ومن المؤكد أن العرب أسهموا إسهاما كبيرا في عالم اللغة رغم كل هذه الصراعات حول التقليد والتجديد، وإلا أنهم كانت براعة

[1]– محمد بوعامة، التراث اللغوي بين سندان الأصالة ومطرقة المعاصرة، مجلة كلية الأدب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، العدد2 بسكرة، جوان2008، ص208.

[2]– خليل حلمي، العربية وعلم اللغة البنيوي، دار المعارف الجامعية، مصر، القاهرة، 1996م، ص28.

الاكتشاف في عدة جوانب علمية ومعرفية مختلفة وتأييدا لهذا بين الأستاذ "عبد المجيد دياب" ذلك في قوله: "وقد سبق علماء العرب إلى الكثير من النظريات العلمية التي تنسب في الوقت الحاضر إلى علماء النهضة الأوروبية دون الإشارة إلى هؤلاء الذين تكلموا في التطور قبل داروين في الجاذبية نيوتن، وفي انكسار الضوء قبل ديكارت، وأعمال ابن الهيثم وابن مسكويه وابن النفيس والرازي وغيرهم كثير تشهد بالفضل والأسبقية المعرفية"[1]. ويعتبر "**الحاج صالح**" أهم عالم عربي اهتم بقراءة التراث اللغوي العربي من جديد والعمل على محاولة إعادة فهم القضايا اللغوية التي تركها الأولون خاصة القضايا النحوية من خلال تتبع "الخليل" وغيرهما، وقد كان ذلك "من إيمانه بوجود نظرية دقيقة في أصولها ومفاهيمها في النحو العربي الأصيل فيما تركه لنا أمثال "**الخليل**" و"**سيبويه**" ومن كلاهما، ويتضح ذلك بإعادة قراءة ليس على ضوء النظريات الجديدة فقط، وإنما بدراسة معرفية دقيقة لمفاهيم النحاة وتصوراتهم، وبدون إسقاط أي تصور آخر لتصور النحاة العرب المتأخرين أو تصور الغربيين عليها"[2]. غير أن المتتبع للدرس اللّساني العربي المعاصر يجد عدة محاولات تخدم التّراث اللغوي يجد أن معظم قرائه تتوفر لديهم معرفة عميقة ويملكون مقومات المزج بين الأصالة والتراث. وفي الأخير يفترض على اللغويين العرب من أهل التخصص توحيد وإخلاص جهودهم تكثيف بحوثهم وتدقيق أفكارهم لتكوين منهج يحافظ على خصوصية اللّغة العربية، ويراعي نقاط التّقدم الحضاري والعلمي التي تقوم عليها العلوم اللّغوية الحديثة، وهذا التّوحيد يساعد إلى تدفق المعارف وظهور مدارس لغوية تحمي وتساعد اللّغة العربية على الرّقي والإزهار أكثر فأكثر.

[1]– عبد المجيد دياب، تحقيق التراث منهجه وتطوره، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1993م، ص13.

[2]– – حسن خميس سعيد، الملخ، نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2000م، ص247.

3- أهم المدارس اللسانية العربية

-المدرسة البيانية مع الجاحظ:

أُسست هذه المدرسة على يد الأديب العباسي "**الجاحظ**"، وسميت بهذا الاسم، لأن البيان يرتكز على الأساس الذي تقوم عليه، كما عرف البيان بقوله "هو اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهنك الحجاب دون الضمير حتى يقضى السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ذلك البيان ومن أي جنس كان ذلك الدليل".[1]ويعتبر **الجاحظ** الممثل الأول للمدارس الكلامية المأخوذة من القرآن الكريم، إذ أنه اعتمد على ما جاء فيه وقام بالنظر والتأمل في أصل الكلام وتطويره وعلاقة الإنسان، وكما حاول أيضا من خلال معرفة الكيفية التي ينشأ فيها الكلام، وما تتضمنه الرسالة من رموز ومقام ومقال وحلل، وغيرها من العناصر.[2]وكما لخص "**الجاحظ**" ورتب أنواع الدلالات في خمس نقاط وهي كالآتي:

دلالة اللفظ، دلالة الإشارة، دلالة العقد، دلالة الخط، ودلالة النصبة.[3]

فالمدرسة البيانية هي تصورات ومفاهيم فكرية متكاملة، استنتجها "**الجاحظ**" في قراءته للنص القرآني، وكل ما يتصل من معاني التبليغ والتذكير والتوليد الذي له علاقة بخلق الإنسان واللسان.

---

[1]- الجاحظ، البيان والتبيين، تح، دويش جويدي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر هيدا، بيروت لبنان، ج1، ط2، 2000، ص56.

[2]- فاطمة فارز، النص بين الحضور والغياب في اللسانيات العامة دراسة لسانية تحليلية، جامعة وهران، الجزائر، 2009، ص17.

[3]-المرجع نفسه، ص19، ص20.

-مدرسة النظم:

أسسها "**عبد القاهر الجرجاني**" حيث استمدّ أفكار النظم من ملاحظات سابقيه الذين تعرضوا للمصطلح في صورة محملة ولم يعطوه مضمونا ملموسا، وأيضا لم يحللوه تحليلا لغويا يكشف عن طاقات اللّغة وما وفره للمستعمل من إمكانيات التّركيب والتأليف[1]. كما اعتمد "**الجرجاني**" لدراسته في هذه النظرية على القرآن الكريم، ويعني بالنظم، أنه الطريقة التي يتركب فيها الكلام، وتنتقل فيه الجملة من التركيب البسيط إلى تراكيب فيها الكلام، وتنتقل فيه الجملة من التركيب البسيط إلى تراكيب القرآن الاعجازية والدّلالية والغيبية الإعجازية وغيرها[2]. يعتبر "**الجرجاني**" النّظم في المعاني لا في الألفاظ، كما أنه يفرق بين نظم الحروف، على خلاف ما لنظم الكلام عنده من ميزة، لأن النّاظم يتتبع ترتيب معاني الكلام في النّفس، في حين أن نظم الحروف يأتي بالمواضعة، أي بما يتعارف عليه الناس[3].

-المدرسة الشّمولية:

تُعد أكبر مدرسة لسانية عربية، ومؤسّسها كان "**السكاكي**"، ولم تعرف مدرسة عربية أكبر منها ولا أشمل ولا أوسع بين الدارسين، ولقد صنّف في هذه المدرسة العلوم الإنسانية بطريقة شاملة، إذ صنفها في شجرة ذات جذور متصلة وثابتة في قواعد اللغة، أما فروعها فهي تشمل شتى أنواع الكلام[4]. وينقسم هذا التطور في نظرنا إلى فرعين هما: النّحو والصّرف، ثم يرتقيان إلى درجة البلاغة، فعلم النحو يخلف "علم المعاني" وعلم الصرف يخلف "علم البيان"، وتحدث العديد من الانتقالات والارتقائيات من علم إلى آخر بطريقة

---

[1]- جمادى صمود، التفكير البلاغي عند العرب(أسسه وطوره في القرن السادس)، منشورات الجامعة التونسية، تونس1985، ص494.

[2]- فاطمة فارز، المرجع السابق، ص28.

[3]- سامي عوض، حسن شحود، النظم من سيبويه إلى الجرجاني، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، ط17، سوريا، 2002، ص6.

[4]- فاطمة فارز، المرجع السابق، ص42.

مدروسة وتدريجية، وبنظرة شمولية، وهكذا يهدف "**السكاكي**" في كتابه مفتاح العلوم في البلاغة يهدف إلى النقاد إلى جميع العلوم اللسانية[1].

- **المدرسة الارتقائية:**

أُسست المدرسة الارتقائية على يد "**ابن خلدون**" ولقد وظف فيها النّظرية الارتقائية من أجل بناء نظرية التحصيل، وتشرح النظرية الارتقائية الطريقة التي ينشأ فيها المعنى عن الفعل، ونتيجة لتكرار هذا الفعل تنشأ الصّفة، وإذا تكررت هذه الصفة صارت حالا (أي الصفة غير ثابتة)، وإذا تكرر هذا الحال صار ملكة، ويعني بها (المقام) كما يقول المتصوفة[2]، كما يرى ابن خلدون أن هذه المراحل الخمسة (المعنى، الفعل، الصفة، الحال، الملكة التي هي الصفة الراسخة)، تنشأ وتتطور بطريقة تدريجية، أي في عدة دفعات خلال فترات عديدة، ثم تمكن هذه الفترات المتعلم من استعمال اللغة بطريقة تعينه على التحكم بها جيدا[3].

4- المناهج اللغوية العربية الحديثة:

بعد المدارس اللسانية العربية التي عرفت أهمية في الفكر اللساني العربي حاول العرب إلى لاعتماد عدة مناهج مختلفة في دراستهم.

بدأت تظهر في البيئة العربية مجموعة من المذاهب يمثلها مجموعة من الدارسين العرب نتيجة إلى هذا الواقع الجديد الذي ميز الدرس اللساني العرب، بالإضافة إلى توافد الطلبة العرب على الجامعات الأوروبية، فنظرا لهذا التوافد نتج عند ذلك علاقة بين المناهج

[1]- فاطمة فارز، المرجع السابق، ص42.

[2]- ربيعة بابلحاج، ملامح تعليمية اللغة عند ابن خلدون، جامعة قاصدي مرباح، الجزائر، سنة2009، ص81.

[3]-المرجع نفسه، ص82.

اللسانية الغربية والبحث اللساني العربي وذلك من خلال جهود كل من "**عبد القادر الفاسي الفهري**" و"**أحمد المتوكل**" وغيرهما في حد هذا القول: "إن اللّسانيين العرب الذين درسوا اللّسانيات والصّوتيات في جامعة أوروبية وأمريكية، وانعكست عليهم صور الواقع اللغوي الذي عاشوا فيه، وهناك من تأثّر بنظرية أو نظريات لغوية دون أخرى فبزت في كتاباته ميولهم نحو مدرسة لغوية أوروبية أو أمريكية(...) وحيث أن النظريات لغوية قد ظهرت على مراحل متدرجة، فقد كان لكل فترة طائفة من الباحثين العرب ممن مروا بها وتأثروا بواضعي هذه النظريات أو طلابهم، فعملوا بعدئذ على تطبيق هذه النظريات على اللغة العربية"[1].

ويمكن حصر هذه المناهج والمذاهب اللّسانية العربية فيما يلي:

أ – المنهج الوصفي التقريري:

ويعتمد أصحاب هذا الاتجاه في دراسة " النحو دراسة شكلية بعيدة عن نظرية العامل والتقرير"[2]. وهناك عدة دارسين من العرب الذين تبينوا المنهج الوصفي في بحوثهم التي قدموها للقارئ العربي وأهمهم "**تمام حسان**" و"**ابراهيم أنيس**" **وعبد الرحمن أيوب**" وغيرهم من العلماء. حيث يرون أن العملية الوصفية تنطلق على المسألة اللغوية المناسبة وهذا القول يوضح ذلك: "فإن كان تطبيقها مناسبا للمسألة كانت أسلوبا ناجحا في دراستها. وإن تطبيقها هدر لبعض العناصر مع الإقرار بأن معيار النجاح أو عدمه أمر نسبي يتفاوت فيه الباحثون"[3]. اعتبر اللّسانيون الوصفيون العرب أن المنهج الوصفي هو المنهج الأكثر موضوعية في دراسة اللغة. والأقرب إلى الدقة والعلمية من المناهج التقليدية الأخرى، فأصبح

[1] – مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، دراسة نقدية في المصادر والأسس للنظرية والمنهجية، الدار البيضاء، المعرب: سلسلة رسائل وأطروحات جامعة الحسن الثاني، عين الشق، ص84.

[2] – حسن خميس سعيد، ملخ، نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء و المحدثين، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن،200 م، ص225.

[3] – المرجع نفسه، ص226، ص227.

الوصف مهمة اللسان الأولى، فالوصفيون يقومون بوصف الظاهرة اللغوية لا تفسيرها، حيث وصلوا إلى حد عدم تقبل الدراسات اللغوية القديمة المتمثلة في النحو ونقده، ورفضوا نتائجه مثل الظاهرة التعليل وذلك بسبب تأثرهم باللسانيين الغرب حيث أنه "صح من النقد الأوروبيين لتراكم النحوي ينسحب على التراث النحوي العربي، كما صح عندهم أن التراث النحوي العربي تضمن العيوب نفسها التي تضمنها التفكير النحوي الأوروبي القديم. ولم يتخذ هذا المنطق من عمل الوصفيين العرب شكل الافتراض، بل كان حاضرا لديهم حضور البديهة، فكان بذلك منطق كل دراستهم"[1]. وقد شهد النحو العربي هجوم فكري في منتصف القرن العشرين، من قبل علماء العرب الذين تبنوا المنهج الوصفي البنيوي من أمثال الدكتور " **ابراهيم السمراني**" في كتابه "الفعل زمانه وأبنيته" والدكتور "**عبد الرحمن أيوب**" في كتابه "الدراسات في النحو العربي" وكذلك "**تمام حسان**" في كتابه "اللغة بين المعيارية والوصفية".

فهكذا توالت الإصدارات والمؤلفات على النحو العربي إلا إن هناك أمور عاب عليها الوصفيون العرب النحو العربي عليها وذلك لاعتمادهم على الأسس الأوروبية في نقدهم لتراثنا النحوي وقد لخصها عبده الراجحي.[2] فيما يلي:

1 – أن النحو العربي قد تأثر بالمنطق الأسطوري منذ مراحله الأولى وأن هذا التأثر صار طاغيا في القرون المتأخرة. وقد أدى ذلك إلى أن يكون النحو العربي "صوريا" وليس "واقعيا"، ومن ثم اهتم بالتعليل والتقدير والتأويل، ولم يركز درسه على الاستعمال اللغوي "كما هو".

[1] – سالم علوي، النحو العربي واللسانيات الوصفية، مجلة فكر ونقد، أكتوبر، العدد 72، 2005، ص122.

[2] – عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، 1979م، ص52/48.

2 – أن النحو العربي لم يقعد للعربية كما يتحدثها أصحابها، وإنما لعربية مخصوصة تتمثل في مستوى معين من الكلام هو في الأغلب. شعر أو أمثال أو نصف قرآني. أي أنه لم يوسع درسه ليشمل اللغة التي يستعملها الناس في شؤون الحياة وإنما قصره على اللغة الأوروبية(...)، وقصر الدرس النحوي على هذا المستوى من اللغة أفضى به إلى وضع القواعد العربية على أساس من النصوص المختارة، مما أبعدهم عن الاستعمال الشائع في هذه اللغة، ولم يكن مناص من أن يواجهوا نصوصا من هذا المستوى الأدبي تخالف ما وضعوه من قواعد، فاضطروا إلى اللجوء إلى التأويل والتقدير التفسير، والاحتكام إلى (الضرورة أو إلى الشذوذ)، بل إلى (وضع) نصوص تسند بعض هذه الأحكام.

3 – أن النّحو العربي مع تحديده لمستوى اللغة التي تبعدها، حدّد أيضا بيئة مكانية وزمانية لهذه اللغة، فهو لم يسمح بالتقعيد إلا على اللّغة المستعملة في البوادي، نجد "الحجاز" و"تهامة" ومن قبائل المخصوصة لم تتأثر بحياة الحضر أو الاتصال ببيئات لغوية أخرى(...) وهذا التّحديد للمكان صحبه تحديد للزمان، فحددوا عصر الاستشهاد بآخر العصر الأموي لما نعرف من عزوفهم الأخذ عن لغة العصر العباسي التي تعرضت لتأثيرات كثيرة من حضارات مختلفة، وهذا التحديد الزّماني قد يكون سببا أيضا في امتناع معظم النحاة عن الاستشهاد (بالحديث) لجواز روايته بالمعنى ولكثرة الرّواة (الأعاجم) بين المحدّثين. ويقرر الوصفيون أن هذا الأصل من أصول النحو العربي جعله نحوا لا يمثل العربية وإنما يمثل جانبا واحدا منها. فهو لا يصور إلا هذه العربية التي حدودها مكانا وزمانا، ومعنى ذلك أنه نحو ناقص لا يقدم قواعد الكلام العربي في بيئاته المختلفة.

4 – لم يميّز النحو العربي حدودا واضحة " لمستويات التحليل اللغوي"، وإنّما اختلطت فيه جميع المستويات.

وهكذا يرى أصحاب هذا المنهج أنه لا يخدم النحو العربي أو اللغة العربية وذلك لتأثر العرب بالكثير من الحضارات القديمة والحديثة مما صعب عليهم إقامة النحو العربي على أسسه وقواعده المضبوطة التي تساعد الدارس على فهم معاني الكلمات وبنائها.

ب – المنهج التأصيليّ:

يسعى علماء العرب الذين سلكوا هذا المنهج إلى تأصيل بعض القواعد النحوية العربية من خلال مقابلتها بالقواعد اللغوية الحديثة، واختلف الدارسين العرب في إجراءات هذا المنهج التقابلي." فقد يتسع عند بعضهم للمقابلة بين جوانب من نظرية النحو العربي، وجوانب من مناهج النظر اللغوي الحديث، كما في بعض أعمال الدكتور "**تهاد الموسى**". قد يضيف عند بعض أصحاب الاتجاه التأصيلي فيصير مقابلة بين جوانب من نظرية النحو العربي، وجوانب من منهج لغوي حديث كالمنهج التحويلي التوليدي كما في أعمال الدكتور"**عبد الرحمن حاج صالح**"، والدكتور "**عبد القادر المهيري**"، وبعض أعمال الدكتور"**ميشال زكريا**"[1]، حيث سعى التأصيلين العرب إلى تأصيل بعض القضايا اللغوية العربية خاصة النحوية لاكتسابها للثقافة العربية أو التراث العربي ولكي يتحقق هذا المسعى، حيث تهدف إلى "الكشف عن جوانب من التفكير اللغوي عند العرب تتفق وعلم اللغة الحديث سعيا وراء تأصيل هذا التراث وفق نظريات علم اللغة تمهيدا للكشف عن نظريته الأصلية".[2]

يُعدّ "**تهاد الموسى**" من أهم رواد هذا المنهج وهذا من خلال ما قدّمه من دراسات في دعوته إلى ربط الدّرس اللّغوي العربي بالدّرس اللغوي الغربي الحديث لأن ذلك: " يعسف في

[1] – حسن خميس سعيد، ملخ، نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2000م، ص241/242.

[2] – المرجع نفسه،ص242.

تحديد إحسانًا بالنّحو العربي في مفهوماته، ومنطلقاته، وأبعاده بعد طول إلف به في لغته الخاصة، ومصطلحه الخاص ومنهجه الداخلي".[1]

اعتُبر كل من "**الحاج صالح**" و"**الخليل بن أحمد الفراهيدي** " من بين علماء العرب الذين انتهجوا هذا المنهج، "فالحاج صالح" قدم جهود لسانية فائقة الجودة فيها يُعّرف بالنظرية الخليلية الحديثة فهذه النظرية التي قدمها حاول إتباع أصالة القضايا اللغوية العربية بصفة عامة والنحوية بصفة خاصة حيث يمكن تحقيق هذا الإثبات من خلال "وجود نظرية دقيقة في أصولها ومفاهيمها في النحو العربي الأصيل فيما تركه لنا أمثال "**الخليل**" و"**سيبويه**"، ويتضح ذلك بإعادة قراءة التراث ليس على ضوء النظريات الحديثة فقط، وإنما بدراسة ابستمولوجية (معرفية) دقيقة لمفاهيم النحاة وتصوراتهم، وطرق تحليلهم، وبدون إسقاط أيّ تصور آخر لتصور النحاة العرب المتأخرين أو تصور الغربيين لها"[2].

نسب **حاج صالح** نظريته إلى "**الخليل ابن أحمد الفراهيدي**" وذلك بعد التّقطن الذي شهده اللّغويين العرب القدامى خاصة بفضله–التّقطن– عمل كل منهم على إعادة بعث القضايا النحوية العربية مع إثباتها للتراث العربي دون الاعتماد على النظريات الغربية الحديثة وذلك لاعتقادهم أن الدرس اللغوي العربي ثري بكل الجوانب التي تساعد إثراء النحو العربي، وقد تضاربت الآراء حول النحو العربي وكان سببا في التشكك منه "وهذا التضارب في روايات العلماء دفع بعض المستشرقين وبعض العلماء المحدثين إلى التشكك في نشأة النحو العربي، وتناقضها من أكبر الأسباب في عدم الأخذ بها والاعتماد عليها"[3].

---

[1] – نهاد موسى، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، مكتبة الوسام، ط2، عمان، الأردن، 1987، ص22.

[2] – عبد الرحمان الحاج صالح، منطق النحو العربي، موفم للنشر، الجزائر، 2012، ص39.

[3] – عبد العال سالم المكرم، الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي، مؤسسة الرسالة، ط2، 1993م، ص13.

وقد لاحظ "**حسن خميس سعيد**" في ملخصه أن "**عبد الرحمن حاج صالح**" قد انتهج طريقتين من أجل إثبات دقة النظرية النحوية عند النحاة المتقدمين وذلك من خلال كل الأبحاث والدراسات والأعمال اللغوية اللسانية التي قدموها وقاموا بها من أجل هذه القضايا اللغوية النحوية العربية الأولى: بتتبع تاريخ علم اللسان من أقدم الإشارات التاريخية له حتى العصر الحديث. وما جعله يتبع هذه الطريقة هو سعيه إلى إثبات أن النظرية النحو العربي نظرية عربية في جذورها وأصولها، أما الثانية: تتمثل في تحديد الأصول أو الأنظار العلمية التي بنا عليها نحاة العربية نظرية النحو العربي وهذه الأنظار العملية هي منطلقات النحاة الأوائل "**كالخليل**" و"**سيبويه**"[1].

ج- المنهج التفسيري:

يمثل هذا الاتجاه في الدرس اللغوي العربي كل من "**عبد القادر الفاسي الفهري**" و"**محمد علي الخولي**" و"**مازن الوعر**"، كما لهذا المنهج تسميات أخرى كالمنهج التوليدي حسب "**حافظ اسماعيلي علوي**" أو اللسانيات التوليدية حسب "**مصطفى غلفان**".

فإنّ "**عبد القادر الفاسي الفهري**" لا يرى ضرورة في توظيف التراث، حيث إنه عاب على الوصفيين الذين انتقدوا القدامى، فالنظرية اللسانية حسبه هي: "بناء عقلي يتوق إلى ربط أكبر عدد من الظواهر الملاحظة بقوانين خاصة تكوِّن مجموعة متسقة يحكمها مبدأ عام هو مبدأ التفسير، ويمكن تمثلها كمجموعة من المفاهيم الأساسية ومجموعة من المسّلمات تستنتج منها النتائج التفسيرية"[2]. أمّا التفسير حسبه أيضا فهو: "مفهوم شامل يفسر النظام اللغوي من

[1]- حسن خميس سعيد، ملخ، نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2000م، ص247.

[2]- الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية ودلالية، ط2، الرباط، المغرب، 1988م،ص13.

حيث المفاهيم النحوية كالحالة الإعرابية والتطابق والتقدير، والحذف والزمن، ومن حيث اللوازم المعجمية كالمعنى، والتعدية واللزوم وصيغة الفعل"[1].

يرى "**الفهري**" أن علماء اللّغويين العرب أفسدوا النّحو بمفاهيم المنطق التي أدخلوها عليه ولكنهم مع ذلك قاموا بالاحتفاظ بالتّراث العربي القديم، أي بما قدموه علماء العرب القدامى وذلك بعدم محاولتهم بوصف لغة أخرى بالاعتماد على نصوص شفوية ومكتوبة جديدة ودعم ذلك بقوله: "مشكل المعطيات جرى عليهم مشكل المنهج، فاستعمالهم لمعطيات القدماء جعلهم في الكثير من الأحيان سجناء المنهج(...) مع أنّه لا ضرورة منهجية ولا منطقية تفرض الرّجوع إلى فكر الماضي وتصنيفاته ومفاهيمه لمعالجة مادة معينة"[2]، عُرفت بعد ذلك عدّة محاولات التي تهدف إلى خدمة الدرس العربي، حيث اعتمد "**مازن الوعر**" في نموذجه التفسيري عل "تصميم نظرية لسانية عربية حديثة بدمج ما سماه المنهج اللّساني، الذي وضعه العرب القدماء، والمنهج التّصنيفي الذي وضعه عالم الدّلالات الأمريكي "**ولتركوك**" والمنهج التوليدي التحويلي الذي وضعه "**تشومسكي**" في صورته الحالية له في (1980-1981)[3].

أما "**محمد علي الخولي**" فقد حاول في كتابه "قواعد تحويلية للّغة العربية" بين من خلاله قواعد استخراج جمل اللّغة العربية دون الاعتماد على القواعد التقليدية العربية القديمة.

هذا ما أمهل الطّريق إلى العديد من العلماء إلى دراسة اللّغة العربية والقيام بمحاولات تخدمها، وذلك بالاعتماد على مستجدات في البحث اللّساني الغربي بنقلها وتطبيقها على

---

[1]- حسن خميس سعيد، المرجع السابق، ص252.

2- المرجع نفسه، ص251.

3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

اللغة العربية، بذلك "عولجت بأحدث النماذج والنظريات اللسانيات الحديثة والمعاصرة في جميع مستويات الصّوتي والصّرفي والتّركيبي والدّلالي والّتداولي"[1].

بفضل هذا الاهتمام الكبير الذي أولاه اللسانين العرب، جعل اللُّغة العربية تكتسي حُلّة جديدة تتمثل في صيغة علمية دقيقة وذلك لمسايرة الركب في الأبحاث اللّسانية المعاصرة فقد "قدّموا حلولاً لأعقد المشاكل على مستوى البحث اللّساني (...) وظهرت اتجاهات في اللّسانيات العامة العربية الحديثة في النصف الثاني من القرن العشرين، منها ما استُند إلى الفكر اللّغوي العربي القديم، ومنها ما استُند إلى النّظريات اللّسانية الحديثة في مختلف اتّجاهاتها(...) في محاولة تأسيس فكر لساني عربي جديد"[2].

إلاّ أنّ كل هذه الجهود المبذولة من قبل اللّسانيين العرب لم تصل بالدّرس اللّساني العربي الحديث إلى المستوى المرجو، ويرجع الدارس "**غلفان**" ذلك إلى مجموعة من الأسباب التي أدّت إلى عدم رقي وتطور الدّرس اللّساني العربي وذكر هذا الصّدد في قوله: "لا نجد في خطابات اللّسانيات العربية بأنواعها المتّباينة مفهومها منهجيا محدّدا، وتصوراً مضبوطًا، وواضع المعالم للّغة العربية بوصفها موضوع لسانيات عربية(...)، فاللّسانيات العربية اليوم في حاجة إلى تدوين وعصر احتجاج جديدين يتلاءمان بواقع اللّغة العربية ويسايران ما وصل إليه البحث اللّساني عالميا"[3].

أرجع "**الحسن السعيدي**" ذلك إلى الأسباب المتمثلة في:[4]

---

[1]– السّعيدي الحسن، كلمة اللجنة التنظيمية، مختبر التواصل وتقنيات التعبير، نوفمبر، 2007، ص22/21.

[2]– المرجع نفسه، ص22.

[3]– مصطفى غلفان، اللسانيات العربية أسئلة المنهج، ط1، عمان، الأردن، دار ورد،2013م، ص64.

[4] السعيدي الحسن، المرجع السابق، ص9.

– عدم تجاوز التّصور العربي الحديث لنحو اللّغة العربية القديم، بتقديم بديل متكامل.

– عدم بلورة فكر لساني قادر على التّأثير في الوضع اللّغوي العربي المعاصر.

– عدم فاعلية تعليم اللّغة العربية سواء للنّاطقين أو غير النّاطقين بها.

– عدم وجود وصف متكامل للّغة العربية يراعي جميع مستويات الدّرس اللساني.

– وجود انفصام بين النّظرية والّتطبيق.

5 – آفاق الدّرس اللّساني العربي:

قد قدم "**مصطفى غلفان**" مجموعة من الشّروط والمقومات التي تجعل الدّرس اللّساني العربي درسًا ناجحًا، ذات مبادِئ ومناهج حديثة تخدم الفكر العربي، وذلك بالاعتناء بالقضايا الأساسية التالية[1]:

– العودة إلى جوهر العمل اللّساني بتحليل اللّغة العربية من حيث هي بيانات صوتية، وصرفية، وتركيبية، ودلالية، ومعجميّة.

– ضبط المصطلح اللّساني العربي وتوحيد استعماله.

– إعادة النظر في تدريس اللّسانيات في الجامعات والمعاهد العليا في الأقطار العربية.

وفي هذه العناصر الثّلاثة تشكل قضية جوهرية خاصة في البحث اللّساني العربي، كما تشكل هذه العناصر معضلة أساسية في الدّرس اللّساني العربي لمن لم يقدر على استيعابها ومعالجة قضياها باهتمام ودقة، ومن أجل ضبط البحث اللّساني العربي ضبطا موضوعيا واتخاذ منهجا مثاليا لدراسة سهلة وميسّرة.

[1]– طبيبي غنيّة، اللسانيات العربية: الواقع والأفاق قراءة في تصور "مصطفى غلفان"، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، المجلد16،العدد3، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف 2،2019م، ص196.

في هذا الإطار حدّد "**مازن الوعر**" آفاق اللسانيات العربية في مجموعة من الآراء، والقرارات وتحديدها فيما يلي[1]:

– الاهتمام باللّسانيات كعلم قائم بذاته في كل جامعات العالم العربي ومحاولة توسيعه وتطويره.

– إنشاء كليات قائمة تدعى كليات اللّغات والعلوم اللّسانية الحديثة.

– الاهتمام باللّسانيات وتكوين باحثين متخصصين في هذا الحقل من أجل الرقي بهذا العلم وجعل له مكانة.

[1]– المرجع السابق، ص198.

خلاصة الفصل الأول

نمت الدّراسات اللّغوية العربية القديمة في أحضان الحضارة الإسلامية فقد أولى لها العلماء أهمية كبيرة وذلك لارتباطها بالقرآن الكريم، فهذا الحافز الدّيني دفع علماء العرب والمسلمين إلى الحفاظ على اللّغة العربية فعملوا على الاهتمام بكل جوانبها. فحافظوا على تراثهم اللّغوي، بفضل مجهوداتهم القيّمة التي انبهر الغرب منها. فألّفوا كتبًا عملت على إرساء الفكر العربي القديم، التّي فتحت لهم المجال إلى الاهتمام بالموروث العربي والعمل على تطويره وإلمام مواضيعه المختلفة، وذلك لثراء مادته العلمية والتّداخل بين علومه مما زاده نضوجًا وتكاملاً. إن هذه الجهود كانت بمثابة نقطة بداية للنّهوض من ذلك السّبات الفكري الذي مسّ البيئة العربية آنذاك.

إن التّطورات العلمية التي شهدها الغرب أدَّت إلى ظهور مناهج ونظريات جديدة أثّرت بدورها على الدّرس اللّغوي العربي على الرّغم أن علماء اللّغة الغربيين استفادوا من الدّراسات اللّغوية العربية القديمة وذلك لانبهارهم بما قدموه العرب قديما إلا أنّ هذا لم يمنع العرب على الاستفادة من المناهج الغربية الحديثة في دراستهم. وهذا ما سمح بميلاد درس لغوي جديد وهو الدّرس اللّغوي العربي الحديث.

إن اللّسانيات علم يمتلك كل الخصوصيات المعرفية التي تميّزه عن سواه من العلوم الإنسانية الأخرى من حيث المناهج والمفاهيم والمصطلحات، وكان للفكر اللّغوي العربي شأن كبير في هذا المجال.

الفصل الثاني

جهود ابن خلدون اللغوية في "المقدمة"

المبحث الأول: منهجية البحث وأدوات الدراسة.

1- وصف المدونة: المقدمة لابن خلدون:

كتاب للعلاّمة ابن خلدون أحد أعلام زمانه وواحد من أعلام التاريخ البشري كله، حيث يعتبر ما تركه مرجعا لكل من خلفوه إلى الآن، فهو رائد علم الاجتماع الحديث، كما أنه يعد من أشهر المؤرخين على الإطلاق، وكذلك أحد رواد علم "الأتوبيوجرافيا"

المؤلف	عبد الرحمن ابن خلدون
لغة الكتاب	اللغة العربية
جهة النشر	دار ابن الجوزي للطبع والنشر والتوزيع
تحقيق	محمد ناصر الدين الألباني
عدد الصفحات	560
تصنيف الكتاب	تاريخ –موسوعة
الطبعة	1

يُعتبر كتاب المقدمة "لابن خلدون" من بين أهم الكتب التي ألفّها في سنة 1377م.

1 – 2 السيرة الذاتية لابن خلدون:

يُعد "عبد الرحمان ابن خلدون" عبقرية عربية متميزة، كان عالما موسوعيا متعدد المعارف والعلوم، وهو مجدد في كثير من العلوم والفنون، فهو من أسس علوم الاجتماع، وإمام في علم التاريخ، وهو من أحد رواد فن "الأتوبيوجرافيا"، فن الترجمة الذاتية، وكان له إسهامات في التجديد في أسلوب الكتابة العربية.

لقد شهد العديد من علماء العرب بعبقرية "ابن خلدون" ومنهم **مصطفى الشكعة** في قوله: "ابن خلدون من أكثر الشخصيات الإسلامية تأثيرا على الساحة الفكرية، وله منزلة مرموقة لدى كثير من العلماء الغرب والمفكرين والمستشرقين بفضل أعماله، وكان محل اهتمام الأوربيين كما اهتّموا بأفكاره و أرائه"[1]. كما وصفوا مؤلف "المقدمة" بالمعجزة العربية، ولهذا نقول أن ابن خلدون من بين أعلام العرب، فمكانته رفيعة بين الأدباء والمفكرين.

أ – مولده ونشأته:

هو ولي الدّين أبو زيد عبد الرحمان بن خلدون، واسمه الكامل " عبد الرحمان بن محمد الحس بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمان بن خالد (خلدون) الحضرمي، اشتهِر باسمه **"ابن خلدون"**، وجاء اسم ابن خلدون نسبة إلى جده خالد المعروف بخلدون .ولد في تونس في شهر رمضان سنة 732ه، في بيت علم ومجد عريق، تميزت فترة ولادته بانتشار العلم، حفظ القرآن عندما كان صغيراً، ووالده هو معلمه الأوّل، كما درس على مشاهير علماء عصره، درس في جامعة الزيتونة وبعد تخرجه منها سافر إلى مدينة بسكرة الجزائرية حاملا علومه معه وتزوج هناك ثم انتقل إلى مدينة فاس ثم إلى غرناطة وإلى اشبيلية ثم عاد إلى المغرب[2]. فدرس القراءات وعلوم التفسير والحديث والفقه المالكي، والأصول والتوحيد، ودرس علوم اللغة وعلم المنطق والفلسفة والطبيعة والرياضيات، وكان مثيرا لإعجاب أساتذته وشيوخه له، ومن بينهم: محمد بن عبد المهيمن الحضرمي، ومحمد بن سعد بن برال الأنصاري، ومحمد بن إبراهيم الآبلي وغيرهم، وكان العديد من هؤلاء المشايخ تأثروا في ثقافته وفكره منهم: محمد بن عبد المهيمن الحضرمي، إمام المحدثين والنحاة في المغرب، ومحمد بن إبراهيم الآبلي الذي أخذ عنه علوم الفلسفة والمنطق والطبيعة والرياضيات.

[1]- مصطفى الشكعة، المطالعات الإسلامية في العقيدة والفكر، دار الكتب الإسلامية، ط2، القاهرة، 1983، ص359. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1951، ص 1، 2.

[2]- عبد الرحمان بن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، تحقيق محمد بن تلوين مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1951، ص 1، 2.الطنجي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1951، ص 1، 2.

قد "تمتع ابن خلدون بعدة ألقاب مثل: قاضي القضاة ولي الدين، وأبو زيد عبد الرحمان بن الشيخ، أبي عبد الله محمد، بن خلدون الحضرمي المالكي، وأن كنيه (أبو زيد)، تميزا عن باقي القضاة بين سائر المذاهب وعلمائها"[1].

ب- وفاته:

توفي ابن خلدون في 19 آذار شهر مارس من عام 1406 في رمضان، وسارت القاهرة في وداعه العامة والعلماء والقضاة والأمراء، ودفن جثمانه بمقابر الصوفية خارج باب النصر في اتجاه حي العباسية.

ج: إسهامات ومؤلفات ابن خلدون:

من مؤلّفات ابن خلدون التي اشتهر كتابه " العبر وديون المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"[2] ، وكان هذا الكتاب مؤلف من سعة مجلدات وأولها مجلّده الشهير المعروف باسم "مقدمة ابن خلدون" ومن إنجازات ابن خلدون الأخرى فقد ساهم في كتابه مصنفات ضمن مجالات مثل التاريخ والمنطق والحساب، وكان ابن خلدون بارعا في مجالات أخرى تحدث عنها بمؤلفاته مثل الجغرافيا والعمران والفلك وأحوال البشر وغير ذلك. كما له كتب عديدة أخرى مثل: المحصل في أصول الدين، شفاء السائل وتذهيب المسائل، كتاب مزيل عن حكام الأنام، كتاب رحلة ابن خلدون "كتاب بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد ألواد"، تلخيص المحصل لفخر الدين الرّزي[3] ، شرح قصيدة ابن عبدون، شرح العجز لابن الخطيب في الأصول[4] ، شرح قصيدة البردي[5].

---

[1]- عبد الرحمان بن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، تحقيق محمد بن تاوين الطنجي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1951، ص: 1- 2.

[2]- فردوس نور علي حسين، ابن خلدون شاعرا، د ط، 2000، دار الفكر العربي، القاهرة، ص40.

[3]- محمد عبد الله عنان، ابن خلدون حياته وتراثه الفكري، ط1، 1933، دار الكتب المصرية، القاهرة، ص142.

[4]- المرجع نفسه، ص142.

[5]- المرجع نفسه، ص142.

لا تزال هذه المؤلّفات موجودة إلى يومنا هذا، خصوصا مقدمة ابن خلدون الشهيرة التي باتت تدرس في أنحاء العالم.

د- أقوال ابن خلدون واقتباساته:

1 – الظّلم مؤذن بخراب العمران.

2 – إن اختلاف الأجيال في أحوالهم إنما هو اختلاف نحلتهم في المعاش.

3 – عوائد كل جيل تابعة لعوائد سلطانه.

4 – قد لا ينم وجود الخير الكثير إلا بوجود شر يسير.

5 – يقلّب الحاكم توجسه وغيرته من شعبه إلى خوف على ملكه فيأخذهم بالقتل.

6- إن تنظيم الحياة الاجتماعية وتصريف أمور الملك يتطلب الرجوع إلى قوانين سياسية مفروضة يسلمها الكافة وينقادون إلى إحكامها.

ينبغي القول إن ما تركه ابن خلدون الإنسانية كإرث علمي ساهم في تأسيس علم الاجتماع في تعريفه الحديث كما أن مؤلفاته زادت في علم البشرية.

1 – 3 مضمون الكتاب:

هذا الكتاب هو أهم ما كتب ابن خلدون على الإطلاق، فقد لاقى هذا الكتاب انتشارا واسعا نظرًا لما مثّله هذا الكتاب من أهمية لكل المهتمين بالكتابات الموسوعية والتي عليها هذا الكتاب والأصل أن هذا الكتاب كان مقدمة لكتابه "العبر" المعروف ب "تاريخ ابن خلدون"، ولكن لأهمية هذه المقدمة فقد طبعت ككتاب منفرد من ثلاث مجلدات واهتموا بتحقيقه وتهذيبه وشرحه.

- **موضوع حديث الكتاب:** حاول ابن خلدون أن يكسب هذه المقدمة طابع الموسوعية، فتناول فيه جميع موضوعات المعرفة مثل: علوم الشريعة والتاريخ والجغرافيا والاقتصاد وكذلك تحدث عن علم العمران والاجتماع والسياسة الطب. كما استعرض فيه أحوال الناس

والاختلافات في طباعهم، وأثر البيئة الكبير على الإنسان وفيه، ثم قام بدراسة مراحل تطور الأمم والشعوب وبداية الدولة ونشأتها والأسباب التي تؤدي إلى انهيار الدولة، وقد ركز في ذلك على مفهوم العصبية.

- تفسير الكتاب:

لقد تم تجزئة واجهة ابن خلدون إلى ستة أبواب وهي:

- الباب الأول: تتم عن العمران الآدمي على الجملة، وأصنافه، وقسطه من الأرض.

- الباب الثاني: ذكر العمران البدوي، والقبائل والأمم والعنف.

- الباب الثالث: تتم عن الدّول والخلافة، والملك، مثلما ذكر المراتب السلطانية.

- الباب الرابع: أكل موضوع العمران الحضري، والبلدان، والأمطار.

- الباب الخامس: تتم عن المصانع والمعاش، والكسب، ووجوهه.

- الباب السادس: تتم عن العلوم، واكتسابها، وتعلّمها.

2 – تحديد العينة:

صوبنا اهتمامنا بالموروث العربي القديم وذلك لجودته وغزارته، لذا جعلنا كتاب "المقدمة" لابن خلدون محور دراستنا هذه باعتباره من أهم الكتب التي وضع فيها كل اهتماماته، فقد أعطى للغة مكانة هامة، فهذا دفعنا إلى الغوص في ثنايا هذا الكتاب.

فاللغة العربية لغة القرآن الكريم لقوله تعالى: { إنّ نزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون.} سورة يونس الآية 2. و ذلك لأنها أفصح اللغات وأبينها وأوسعها، وأكثرها تأدية للمعاني، ولنا الفضل الكثير لدراسة وتحليل هذه اللغة وقد حدد هذه الفصول من "المقدمة لابن خلدون" كعينة لدراستها وهذه الفصول هي:

1 – فصل في أن اللغة ملكة صناعية

2 – فصل في أن لغة العرب لهذا العهد لغة مستقلة مغايرة للغة مُضِر ولغة حِـمْير.

3 – فصل في أن لغة أهل الحضر والأمصار لغة قائمة بنفسها مخالفة للغة مُضِر.

4- فصل في تعليم لغة المضري.

5 – فصل في أن ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ومستغنية عنها في التعليم.

6 – فصل في انقسام الكلام إلى فني النّظم والنّثر.

7- فصل في أنه لا تتفق الإجادة في فنّي المنظوم والمنثور معا إلّا الأقل.

8 – فصل في صناعة الشّعر ووجه تعلّمه.

9 – فصل في أن صناعة النّظم و النّثر إنما هي في الألفاظ لا في المعاني.

10 – فصل في أن حصول هذه الملكة بكثرة الحفظ و جودتها بجودة المحفوظ.

11 – فصل في بيان المطبوع من الكلام و المصنوع و كيفية جودة المصنوع أو قصوره.

12- فصل في ترفع أهل المراتب عن انتحال الشعر.

13-فصل في أشعار العرب وأهل الأمصار لهذا العهد.

فهذه الفصول التي وضعها ابن خلدون في كتاب "المقدمة" أسفرت عن خصائص ومميزات اللغة العربية وقواعدها البلاغية والنحوية والصرفية.

أ- خصائص العينة:

خلال تحليلنا لهذا المواضع، توضّح لنا أن للغة خصائص مميزة وكثيرة لا تعدّ ولا تحصى سواء على المجتمع أو الفرد. وقد خصص ابن خلدون في كتابه "المقدمة" فصولا للدراسات اللغوية العربية وذلك من حقبة العصر الجاهلي إلى حقبة عصره، فأعطى للغة

مكانة مقدسة وراقية لكونها لغة القرآن، فعلى تحقيق غرض التواصل والتعبير عن الحاجات بهدف الإفادة.

اهتم العّلام بفنونها المختلفة (اللّغة) لأنها من أفصح اللغات التي عُرف بها العرب قديما، فكان الشعر فنّا من فنونها (اللّغة) فقد كان ديوان العرب مما جعله مصدرا رئيسيا للغة العربية الفصحى سواء في قواعدها أو مفرداتها، وذلك من خلال بلاغته وقيمته الفنية. كما جعل البلاغة بابا من أبواب اكتساب ملكة اللّغة بفضلها تميّزت بتراكيبها وألفاظها، وأيضا نجد الفنّ النثري من أبرز فنون هذه اللّغة، إذ يعتبر لسان العرب لفصاحته ونقائه وسعيه لإحياء المؤلّفات العربية القديمة. فاللّغة وعاء يستقي منه كل العرب وفي كل العصور.

ب– منهج البحث:

اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج الوصفي لملاءمته لنوع لهذه من الدّراسات، لأننا أمام توصيف اللغة واستخراج قواعدها ومزاياها. كما احتكم علينا الاعتماد على آلية التحليل لبحثنا هذا نظرا لشرحنا وتفسيرنا وتحليلنا للعينات اللغوية التي سبق وأن ذكرناها.

المبحث الثاني: رصد مواضع النظر اللغوي في "المقدمة" – دراسة وصفية تحليلية–

1- فصل في أنّ اللّغة ملكة صناعيّة:

يرى "ابن خلدون" "أنّ اللّغات كلّه ملكات شبيهة بالصناعة"[1]، بمعنى أنّ الإنسان يتعلم اللّغة مثلما يَتعلم أية صناعةٍ، فتَعلُّم اللّغة تتطلب مجموعة من القدرات التي يجب أن يتّسِم بها المُتعلّم، فاللّسان يُعتبر من أهمّ هذه القدرات باعتباره الوسيلة الأمثل للتعبير عن الأفكار والحاجات "فاكتساب الملكة اللّسانيّة لا يتمّ إلّا بامتلاك المُتعلّم لآليات تعلّم بدءًا من معرفة استعمالاتها في توظيف ألفاظها وصياغة تراكيبها، ومعرفة التعامل مع مقامات الكلام وسياقاته وظروفه وملابساته. فالعبرة إذا بتراكيب اللّغة لا مفرداتها"[2]. وهذا ما أكّده "**ابن خلدون**" الذي أولى اهتمامه للتراكيب اللّغة المُستخدمة لأنها هي التي تُؤدي إلى معرفة المعاني والدلاّلات المقصودة،" حيث يتمّ تدريب المُتعلم على اكتساب النماذج اللّغويّة التركيبيّة التي يتحقّق بها التواصل والتّفاهم والتعبير عن الحاجات والأغراض"[3]. وقد أهمل المفردات المنطوقة وذلك لأنّها لا تُؤدي غرض الفهم والدّلالة، حيث قال:" وليس ذلك بالنظر

---

[1]– عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، كتب الشيخ محمد ناصر الدين الألبانيّ، دار ابن الجوزي للطبع والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2009، ص506.

[2]– عبد الحليم بوفاتح، أهميّة الملكة في تعليم اللّغة العربيّة عند ابن خلدون، جسور المعرفة، جامعة عمار الخليجي، ع10، الجزائر، 2017، ص130.

3– المرجع نفسه، ص130.

إلى المُفردات، وإنّما هو النظر إلى التراكيب"[1]، كما أكدّ "ابن خلدون" أنّ المتكلمين العرب قديمًا كانوا يكتسبون ملكتهم اللّغويّة بالسّماع، فالسّماع عند العرب يكون عن طريق الاحتكاك بالأفراد لاكتساب هذه الملكة وذلك بالاعتماد على أساليب وتعابير أهل جيله. فالممارسة المتكررّة لهذه الأساليب المعتمدة وتداول الألفاظ بين هؤلاء الأفراد يولّد صفة راسخة في عقولهم، و"هذه الملكات يتم صقلها وترسيخها بممارسة استعمال اللّغة والإقبال على فنون الأدب والبيان والبلاغة وعلوم النحو حفظًا وفهمًا، إلى أنْ تستقرّ هذه الملكات في نفوس المتعلمين بالمران والدربة وكثرة المعاودة والتكرار، فتصبح شبيهة بالملكة الفطريّة قريبة منها"[2]. فالاكتساب اللّغويّ يتم عن طريق السماع الذي يعتبره "ابن خلدون" أبو الملكات.

كانت لغة العرب أفصح اللّغات، ودليل على هذا عدم اعتمادهم على أهل العلم من أبناء جيلهم من أجل تعلّم وتلقي لغتهم لأنّها لغة خالية من أيّ خطأ و لحن، حيث" ينشأ من نشأ فيهم (أيّ العرب) على اعتيادهم النُطق بحروفهم وألفاظهم من حيث لا يعتدون اعتيادهم لها في أنفسهم وعلى ألسنتهم حتى لا يعرفوا غيرها حتى تحفوا ألسنتهم عن كل لفظ سواهم وعن كل تشكيل تلك الألفاظ فير التشكيل الذي تُشكّل فيهم وعل كلّ ترتيب للأقاويل سوى ما اعتادوه وهذه التي تمكنت في ألسنتهم بالعادة على ما أخذوه من سلفٍ منهم...فهذا هو

[1]– عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، كتب الشيخ محمد ناصر الدين الألبانيّ، المصدر السابق، ص506.

1– عبد الحليم بوفاتح، أهميّة الملكة في تعليم اللّغة العربيّة عند ابن خلدون، المرجع السابق، ص131.

الفصيح"[1]. ومعنى هذا أنّ الملكة الأولى أُخذت عنهم ولم يأخذوها من غيرهم، وهذا ما أكّده "ابن خلدون" من خلال قوله:" أنّ اللّغة للعرب بالطّبع"[2]. ومن جهة أخرى يُرجعُ "ابن خلدون" فساد الملكة إلى بعض العوامل الاجتماعية والحضاريّة والتاريخيّة وغيرها مما يتّصل بالإنسان، ولعلّ من أبرز هذه العوامل اختلاط العرب بالعُجم، من خلال قوله:" ثمّ فسدت هذه الملكة لمُضر بمخالطتهم الأعاجم"[3] فهذا الامتزاج الاجتماعي سمح بظهور كيفيات أُخرى للتعبير عن المقاصد والحاجات، وذلك بسبب الاحتكاك الذي مسّ البيئة العربيّة آنذاك، ومعنى ذلك أنّ العرب كانوا يُدخلون بعض الألفاظ العجميّة على لغتهم ممّا ولّد فسادًا فيه. وهذا ما أكّده "ابن خلدون" من خلال قوله هذا:" وسبب فسادها أنّ الناشئ من الجيل صار يسمع في العبارة عن المقاصد كيفيات أُخرى غير الكيفيات التي كانت للعرب"[4]، فنتج عن ذلك فساد العربيّة وفساد اللّسان العليّ الذي كان يتَّسِمُ فالفصاحة والصّحة والجودة.

نظراً لهذا اشتدّ حرص العرب على لغتهم، إلّا أنّه زاد الفساد كلما ازداد اختلاط الأُمم غير العربيّة بالعرب نتيجة الفتح الإسلاميّ حتى فسدت لغة المُدن، ونتج عن ذلك عدم الأخذ من أهلها، وبعد هذا اضطر العرب إلى الاهتمام بالبوادي وذلك لتلقي الفُصحى من أبناءها

[1]– حسين بن زروق، نظريات حصول ملكة اللّغة عند علماء العرب، اللّغو والأردن، معهد اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة الجزائر، ع5، الجزائر، 1995، ص157.

[2]– عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، كتب الشيخ محمد ناصر الدين الألبانيّ، المصدر السابق، ص506.

[3]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الأُصلاء الذين سلمت ألسنتهم من اللّحن والعُجمة، وذلك لأنّ هذه البوادي لم تسمح بفساد لغتها نتيجة لإبتعادهم عن بلاد العُجم، وهذا ما جعلها تكون أفصح اللّغات العربيّة، إذ أشار "ابن خلدون" إلى هذا حيث قال:" ولهذا كانت لغة قريش أفصح اللّغات العربيّة وأصرحها لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتها"[1]. وبعد هذا يتبيّن لنا أنّ أبو الملكات حسب "ابن خلدون" ليست الوسيلة الأمثل لتلقي الملكة اللّغويّة في البيئة العربيّة بعد الفتوحات الإسلاميّة التي عرفتها في تلك القترة.

2- فصل أنّ لغة العرب لهذا العهد مستقلة مغايرة للغة مُضر ولغة حِمْيَر:

تعتبر لغة قبائل مُضَر من أفصح اللّغات العربيّة وذلك لاعتبار أهلها فُصحاء العرب الأصليين، فقد أكّد "ابن خلدون" أنّ اللّغة العربيّة في عهده مُماثلة لغة مُضر ما عدا في حركات الإعراب التي تُعيّن الفاعل من المفعول، وقد تعوّض الناس في عهد "ابن خلدون" بالتقديم والتأخير حتى يتحدّد الفاعل والمفعول، حيث:" ولم يفقد منها إلّا دلالة الحركات على تعيين الفاعل من المفعول، فاعتاضوا منها التقديم والتأخير وبقرائن تدلّ على خصوصيات المقاصد"[2]. كما ربط "ابن خلدون" اللّغة العربيّة بالبلاغة والبيان لكونهما من أساسيات اكتساب اللّغة، إلّا أنّ مُضر أولى وأكثر اهتمامًا بهذين الجانبين (البلاغة والبيان) وهذا ما

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، كتب الشيخ محمد ناصر الدين الألبانيّ، المصدر السابق، ص506.

[2]- المصدر نفسه، ص507.

أكّد عنه العلام:" إلّا أنّ البيان والبلاغة في اللّسان المضريّ أكثر وأعرق"[1]، حيث تدلّ الألفاظ على المعاني أكثر في اللّسان المضريّ، وكلّ معنى تكتفيه أحوال تخصّه، ويجب أن تُعتبر تلك الأحوال في تأدية المقصود، فهذه الأحوال لها صفاتها الخاصة ومصطلحاتها المُنفردة بها كلّ اللّغات.

يتمُ في اللسان العربي استعمال هذه الأحوال في توظيف ألفاظها وصياغة تراكيبها وذلك لمعرفة سياقات وظروف الكلام، فلاهتمام بالتراكيب تُؤدي إلى معرفة المعاني والدلالات المقصودة، فاللّغة العربيّة يُستعان عنها بالتقديم والتأخير والحذف وحركات الإعراب في تركيب الكلمة أو بإضافة حروف غير مستقلة، وهذا ما ولّد تفاوت في اللّسان العربيّ، ولذلك تجد الكلام العربيّ مُوجزًا وأقل ألفاظًا من اللّغات الأخرى. وهذا لقوله صلى اللّه عليه وسلّم:" أوتيت جوامع الكلام واخْتصر لي الكلام اختصارًا"[2] أشار "ابن خلدون" إنّ الكثير من الألفاظ العربيّة في عهده بقيت على حالها في تعبيراتها وأساليبها ومقاصدها، ولم تفقد إلّا حركات الإعراب في أواخر الكلِم، لذا نجد أنّ البلاغة ارتبطت باللّغة العربيّة. والمعروف أنّ لسان القبائل المُضريّة قد مسّه اللّحن والفساد وذلك بعد اختلاطها بالأمم الأخرى فإحتيج إلى علم النّحو لضبط اللّغة، حتى لا ينسى النار لغة القرآن والحديث.

[1]– عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، كتب الشيخ محمد ناصر الدين الألبانيّ، المصدر السابق، ص507.

[2]– الأحاديث النبويّة، المجلد 02، ص152.

يرى "ابن خلدون" أنّهم لو اعتانوا باللّسان العربيّ في عهدهم وعرفوا أحكامه وقواعده ودلالته لاستغنوا عن الحركات الإعرابيّة وأولوا اهتماماتهم لأمور أُخرى داخل اللّغة منها قوانين ضبط الكلام، "ولعلنا لو اعتنينا بهذا اللّسان العربيّ لهذا العهد واستقرينا أحكامه، نعتاض عن الحركات الإعرابيّة التي فسدت في دلالاتها بأمور أخرى وكيفيات موجودة فيه، فتكون لهت قوانين تخصّها"[1]، وفي هذا الشأن إنّ اللّغة العربيّة قسمان: لغة مُضر ولغة حمير، وهذا التقسيم من الأحاديث النبويّة، غير أنّه اختلاف بين هاتين اللّغتين فلا يجب إجراء اللّغة الحميريّة على مقاييس اللّغة المُضريّة لأنهما كانتا لغتان مختلفتان، وهذا ما يدلّ عنه "ابن خلدون" في قوله:" لغة حمير لغة أُخرى مُغايرة للغة مُضر في الكثير من أوضاعها وتصاريفها وحركات إعرابها"[2]. إلّا أنّ العرب قديمًا أولوا العناية بلغة مضر بسبب كونها لغة القرآن والشريعة، مما جعلهم يستنبطون ويستقرئون منها قواعد النحو وفهم التراكيب اللّغويّة ومعرفة سرّ إعجاز الكُتب المقدّسة. أشار" ابن خلدون" إلى اختلاف في نُطق حرف القاف، حيث جرت اللّهجة على نطقها متوسطة بين الكاف والقاف، ويرى العلامة أنّ هذا التطور لحرف القاف هو الأصل في لغة مضر، وممّا يتميّز به العرب الصريح عن العرب الداخل ومن لغة الأمصار لقوله:" يظهر في ذلك أنّها لغة مضر الأولين، ولعلّها لغة النبيّ صلى

[1]– عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، كتب الشيخ محمد ناصر الدين الألبانيّ، المصدر السابق، ص508.

[2]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

اللّه عليه وسلّم بعينها"[1]، والراجع أنّ حرف القاف راجع إلى لغة مُضر لكونها لغة القرآن الكريم أولًا ولغة النبيّ صلى اللّه عليه وسلّم ثانيًا، لذا فإنّ الأولويّة للغة قبائل مُضر العربيّة.

3- فصل في أن لغة أهل الحضر والأمصار لغة قائمة بنفسها مخالفة للغة مضر:

إن اللّغة التي يتواصل بها أهل الأمصار والحضر مخالفة تماما للغة مضر القديمة حيث: " أعلم أن عرف التخاطب في الأمصار بين الحضر ليس بلغة مضر القديمة"[2]، أن اعتبر أن هذه اللغة (الحضر والأمصار) لغة مستقلة لكونها تامة العناصر ومعبرة بليغة عن الحاجات والمقاصد، فهي لا تحتاج إلى الاستناد إلى أية لغة سواء لغة مضر القديمة أو لغة عهده آنذاك وهذا ما وضحه "ابن خلدون" في قوله: "بل هي لغة أخرى قائمة بنفسها بعيدة عن لغة مضر وعن لغة هذا الجيل العربي الذي لعهدنا"[3]، ويبرهن "ابن خلدون" أن الاختلاف الموجود في ثنايا لغة الأمصار أجعلها قائمة بذاتها. وهذا ما اعتبره النحويون لحناً في الكلام. وهذا الاختلاف يظهر في المصطلحات واللهجات الموجودة بين أهل المشرق والمغرب وكذلك الأندلس، إلا أن هذه المصطلحات والألفاظ تؤدي غرض الدلالة عن المعنى للتعبير عن الحاجات والمقاصد و" كل منهم متوصل بلغته لتأدية مقصوده والإبانة عما في

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، كتب الشيخ محمد ناصر الدين الألبانيّ، المصدر السابق، ص509.

[2]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

نفسه وهذا معنى اللسان واللغة"[1]. كما نجد أن الأمصار أهملوا الالتزام بقواعد النحو في لغتهم مما جعل لغتهم أكثر غرابة في كيفية استعمال لكلمات، حيث "فالألفاظ التي تستخدمها كل من هذه اللغات لا تتفق في نطقها مع ما ورد في اللغة المضرية، أن تختلف فيها طريقة نطق الأصوات وتغير الكلمات باختصار الحروف أو إبدالها بغيرها أو تقديمها وتأخيرها"[2]، فهو تغاير وهذا ما اعتبره النحويون كما قال ابن خلدون: "عند صناعة أهل النحو لحنا"[3].

أكد ابن خلدون أن لغة الأمصار مختلفة تماما عن لغة مُضر، وذلك لأن الأمصار هم أبناء القبائل العربية العريقة، لذا نجد لغتهم أكثر صحة ودقة، وهذا ما جعلهم يكسبون الفصاحة في اللغة، أما لغة مُضر فقد خالطت العجم مما جعل الأمصار يحرصون على لغتهم من العُجمة، لأن هذا الاختلاط يؤثر على ملكة النطق العربي الفصيح، كما يودي إلى فساد اللغة الأصلية للأمصار وهذا ما صرّح به "ابن خلدون" في قوله :" البعد عن اللسان إنّما هو بمخالطة العُجمة، فمن خالط العجم أكثر كانت لغته عن ذلك اللسان الأصلي أبعد"[4]. إن اللغة تختلف من جيل إلى جيل " إنما في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم، فاللغة بحسب عُرف أهلها في أصواتها وألفاظها وجملها وأساليبها، والكيفية التي يودي بها ذلك كله

[1]– عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، كتب الشيخ محمد ناصر الدين الألبانيّ، المصدر السابق، ص510.

[2] – محمد عيد، الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون، المرجع السابق، ص122.

[3]– المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[4]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

تخضع لما يصلحون عليه، فلها إذن سماتها اللغوية والبلاغية العرفية المتميزة، فلا يرفض عليها ما ينبغي أن يكون ولا بفرض عليها سمات لغة أخرى"[1].

اعتبر "ابن خلدون" أن العامل الاجتماعي أثّر على الملكة اللسانية المصرية، حيث أن الاختلاط بين المغرب والبرابرة ولّد لغة جديدة من خلال تداول خليط من الألفاظ والمصطلحات بين العربيّة والبربريّة، مما أدى إلى غلبة العُجمة على اللسان العربي حيث: "فغلبت العُجمة على اللسان العربي الذي كان لهم، وصارت لغة أخرى ممتزجة، والعُجمة فيها أغلب لما ذكرناه، فهي عن اللسان الأول أبعد"[2]، ونفس الحال مع المشرق في اختلاطهم مع الفرس والترك، ففسدت لغتهم مما أدى إلى انقلاب الملكة وتشوهها فتغيرت إلى لغة مغايرة جديدة، وكذا الأندلس مع الإسبان.

ومن هنا أصبح لكل إقليم لغة مخصوصة به يعبر بها عن كل مقاصده وحاجاته دون الالتزام بالقواعد النحوية وكهذا صارت مخالفة للغة مُضر ومخالفة بعضها بعضا وهذا ما أكده في قولة: "وصار أهل الأمصار كلهم من هذه الأقاليم أهل لغة أخرى مخصوصة بهم، تخالف لغة مُضر، ويخالف أيضا بعضها بعض كما نذكره"[3].

[1]– محمد عيد، الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون، المرجع السابق، ص128.

[2]– عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، كتب الشيخ محمد ناصر الدين الألبانيّ، المصدر السابق، ص 510.

[3]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

4- فصل في تعليم اللسان المُضري:

بعد ما اكتسب لغة أهل المُضر منزلة كبيرة في البيئة العربية نظرا لكونها اللغة التي نُزل بها القرآن الكريم، إلا أنّ الفتوحات الإسلامية في البلاد العربية أدت إلى تشوه وفساد هذه الملكة. وذلك لامتزاج العرب بالأعاجم وهذا ما أكده "ابن خلدون" من خلال قوله: "اعلم أن ملكة اللسان المُضري، لهذا العهد قد ذهبت وفسدت، ولغة الأهل الجيل كلهم مغايرة للغة مُضر، التي نزل بها القرآن، وإنما هي لغة أخرى مت امتزاج العجمة بها"[1]، فالملكة اللسانية المضرية كانت تعتمد على حفظ كلامهم القديم من أساليب وتعابير، وجعل القرآن الكريم والحديث الشريف من أول ما ينبغي أن يحفظ ابتغاء لهذه الملكة، ثم يأتي بعد ذلك كلام السلف عامة ثم فحول العرب القدامى،" وهكذا تحمل هذه الملكة لمن بعد ذلك الجيل بحفظ كلامهم وأشعارهم وخطبهم والمداومة على ذلك، بحيث يحصل الملكة ويصير كواحد ممن نشأ في جيلهم وربى بين أجيالهم، والقوانين بمعزل عن هذا"[2]، فكثرة الحفظ والاستعمال والتعبير طريقة فعالة في اكتساب ملكة اللغة العربية. ذلك أن حفظ كلام العرب الفصيح كمن عاش بينهم، فسمع منهم، فحفظ الكلام وسماع الكلام هي نفسها، فهذا الحفظ يؤدي إلى الرّسوخ وعدم زوال الملكة اللغوية وذلك فيما يعقده "ابن خلدون" في كلامه: "فتحصل له هذه

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، كتب الشيخ محمد ناصر الدين الألبانيّ، المصدر السابق، ص 510

[2]- محمد عيد، الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون، المرجع السابق، ص130.

الملكة بهذا الحفظ والاستعمال، ويزداد بكثرتهما رسوخا وقوة"[1]، ولنوعية المحفوظ وكميته أثر في امتلاك اللغة، إذ كان المحفوظ جيدا كانت الملكة أجود. ونبّه "ابن خلدون" إلى أن على قدر المحفوظ كمّا وكيفا تأتي المالكة حيث: "وعلى قد المحفوظ وكثرة الاستعمال تكون جودة المعقول المصنوع نظما ونثرًا"[2]، ومن استطاع معرفة كيفية استخدام الموروث العربي القديم من كل جوانب سواء في الشعر والنثر والنظم والتعود على أساليب وتعابير العرب قديما تولد ملكة لغوية فصيحة صحيحة، فحسب "ابن خلدون" من اكتسب كل هذا الموروث القديم حصل على لغة مُضر، فللحفظ والسماع أثر كبير في اكتساب ملكة اللغة العربية خاصة لغة مُضر، وهذا في قوله: "من حصل على هذه الملكات فقد حصل على لغة مُضر"[3].

فإن الملكة العربية السليمة الفصيحة تستوجب الاعتماد على أبو الملكات وهو السماع وإذا لم تقدر على الاعتماد عليه بسبب العُجمة، فقد جعل الحفظ بديلا له (السماع).

5- فصل في أن ملكة هذا اللّسان غير صناعة العربية ومستغنية عنها في التعليم:

إن صناعة العربية تحتاج إلى معرفة قوانين وقواعد وآليات تعلم اللغة وليس معرفة بنفس الملكة، مثل: الذي بعرف أية صناعة علما نظريا ولا يستطيع ممارستها عمليا، وهذا ما

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، كتب الشيخ محمد ناصر الدين الألبانيّ، المصدر السابق، ص510.

[2]- المصدر نفسه، ص511.

[3]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

وضّحه "ابن خلدون" في مقولته هذه: "أن صناعة العربية إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة"[1]، وهذا الشيء مشابه بقوانين الإعراب، فتطبيق والالتزام به في النطق والكتابة شيء آخر والعكس صحيح، فهنا ردّ من ينطق العربية نطقا صحيحا ويأتي به شعرا ونثرا فصيحا، وهو لا علم له بأي شيء عن قوانين النحو والصرف، إلا أنه يلتزم بهذه القوانين والقواعد حسب ما اكتسبه في سليقته ونظرته. فيدرك من هنا أن هذه اللغة ركيكة غير صناعة العربية ومستغنية عنها تماما، إلا أن هناك بعض المهرة في صناعة الإعراب يضعون أملا لهذه الملكة لكنهم ترددوا في هذا الشأن. ولذلك قد قدّم "سيبويه" كتابا في النحو فيه بأمثلة وشواهد من الأدب العربي حتى تتوازن القواعد مع التطبيق والاستعمال أي تتوازن الملكة مع الصناعة. لكن في الكتب النحاة المتأخرين اقتدوا لهذه الخاصية الذين اهتموا بالقوانين القواعد النحوية دون تزويدها بالأمثلة والشواهد ، وهذا مما أشار إليه "ابن خلدون" "وأما المخالطون لكتب المتأخرين العارية من ذلك إلا من القوانين النحوية، مجردة عن أشعار العرب وكلامهم"[2]، إلا أن عند أهل صناعة العربية بالأندلس تميزوا بتحصيل هذه الملكة وتعليمها وذلك لتركيزهم أكثر على كل ما هو قديم من أمثال وشواهد. أما عند أهل المغرب والشمال الإفريقي أصبحت فيهما علوم النحو واللغة نظرية جامدة بعيدة عن ممارسة وعن اكتساب الملكة والسليقة العربية.

[1]– عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، كتب الشيخ محمد ناصر الدين الألبانيّ، المصدر السابق، ص511.

[2]– المصدر نفسه، ص512.

6- فصل في انقسام الكلام إلى فني النظم والنثر:

ينقسم لسان العرب إلى منظوم ومنثور، تمثل المنظوم في الشعر والمنثور في الكلام. وقد لُحظ أن "ابن خلدون" صنف كلام العرب إلى صنفين: الصنف الأول المتمثل في الشعر وهو الذي يعتمد على الوزن والقافية أما النثر فهو الكلام الغير الموزون حيث: "أعلم أن لسان العري وكلامهم على فنين في الشعر المنظوم، هو الكلام الموزون المقفى... وفي النّثر وهو الكلام غير موزون"[1]، حيث يجب التمييز بين هذين الفنين لأن لكل منهما مناهج وأصول يعتمد عليها وخصائص يقف عليها، ففي الشعر نجد المدح والهجاء والرثاء، أما في النثر نرى السجع وهو التزام بالقافية في كل كلمتين أو لفظتين منه، وأيضا نرى فيه المرسل وهو الكلام المنطوق الذي لا قيود له بمعنى لا يتقيد بقافية وهذا ما أكده "الجرجاني" في حديثه عن هذين الفنين لاعتبارهما من أهم ألوان الأدب العربي فقال: "كذلك الكلام منثوره ومنظومه، ومجمله ومفصله، تجد منه المحكم الوثيق والجزل القوي، والمصنع المحكم، والمنمق، الموشح"[2].

نجد الكثير من العرب يرجع القرآن إلى أنه ليس مرسلا ولا مسجعا وهذا ما يجعل نثر لسان العرب لا يماثل نثر القرآن الكريم تماما لأنه خاص، وذلك لأن: "تفصيل آيات تنتهي

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، كتب الشيخ محمد ناصر الدين الألبانيّ، المصدر السابق، ص 512.

[2]-القاضي علي عبد العزيز الجرجاني، مطبعة عيسى البابي الحلي وشركاه، د ط، د ت، ص412.

إلى مقاطع يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها، ثم يعاد الكلام في الآية الأخرى بعدها، ويثنى من غير التزام حرف يكون سجعا ولا قافية"[1]، ولكل فن من هذين الفنين حملة من الأساليب التي يتميز بها مثل النسيب في الشعر، والحمد والدعاء في الخطي، وهذا ما جعل المتأخرون يستعملون أساليب الشعر وموازينه في النثر مثل السجع والقافية، وهكذا أصبح يرون ويبصرون النثر داخل ثنايا لشعر وفنه. ولذا أصبح من الصعب التفريق بين هذين الفنين إلا من خلال الأوزان وهذا ما صرّح به "ابن خلدون" في هذا الصدد: "وقد استعمل المتأخرون أساليب الشعر وموازينه في المنثور من كثرة الأسجاع، والتزام التقفية... وصار هذا المنثور إذا تأمله من باب الشعر وفنه، ولم يفترقا إلا في الوزن"[2]، وظهر ذلك في المشرق في الكتابات السلطانية. ويرى "ابن خلدون" أن السّجع الغليظ لا يناسب الخطاب مع السلطان وذلك لأن أساليب الشّعر (السجع الغليظ) يناسبها كما يقول: "اللوذعية وخلط الحد بالهزل، والأطناب في الوصاف، وضرب الأمثال وكثرة التشبيهات والاستعارات، حيث لا تدعو ضرورة إلى ذلك في الخطاب"[3]، فحسب "ابن خلدون" التّرسل في الخطابات السلطانية أكثر ملائمة حيث لا يكلف المُخاطب نفسه في إطلاق الكلام إلا أنه يراعي مقتضى الحال.

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، كتب الشيخ محمد ناصر الدين الألبانيّ، المصدر السابق ، ص 516.

[2]– المصدر نفسه، ص517.

[3]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

ويرجع العلام ذلك إلى استيلاء العجمة على ألسنة الأدباء، فعجزوا عن الفصاحة، فجعلوا السّجع المتكلف من أولوياتهم وذلك لتغطية العجز الذي مسهم خاصة في البلاغة، حتى وصلوا إلى نقطة أنهم يفسدون بنية الكلمة من كل جوانبها سواء الصرفية أو النحوية وهذا فقط لكي يحافظوا على السّجع والجناس في كلامهم ومؤلفاتهم.

7- فصل في أن لا تتفق الإجادة في فني المنظوم والمنثور معا إلاّ للأقل:

اتّسم العرب بأنهم أهل الفصاحة منذ أقدم العصور، وظلت الملكة اللغوية صامدة لأنها لغة القرآن الكريم، وتجدر الإشارة إلى أنهم لم يتركوا بابا من أبواب الشعر والنثر والأدب إلا ولجئوا إليه مما جعلهم أدباء وشعراء وبلغاء وفصحاء. فملكة الفصاحة فطرية لكونها الملكة الأولى التي عُرف بها العرب قديما مما جعلهم أكثر الفصحاء عبر التاريخ وهذا ما أكده "ابن خلدون" من خلال قوله هذا: "لأن قبول الملكات وحصولها للطبائع التي على الفطرة الأولى أسهل وأيسر"[1]، فهذه الفطرة سهّلت الأمر على العربيّ لاكتساب لغته وذلك لأن منذ نشأته لم يعرف إلا العربيّة الفصحى، وإذ تنازعت ملكتان مختلفتين مع بعضهما لا تتم الملكتان معا حيث تجد واحدة منهما غير تامة، وقد وضّح "ابن خلدون" ذلك في المثال التالي: "فالأعجمي الذي سبقت له اللغة الفارسية لا يستولي على ملكة اللسان العربي"[2]، فالأعجمي لا يملك

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، كتب الشيخ محمد ناصر الدين الألبانيّ، المصدر السابق، ص518.

[2]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

آليات تعلمه اللغة العربية الفصحى، إذ تجده لا يعرف توظيف ألفاظها وصياغة تراكيبها. وهذا يولّد قصره في اللسان العربي، وكذلك نفس الشيء عند البربري والرومي لا يجيد العربية، ولا يمكن للعربية أيضا أن تفرض نفسها عليه فينتج عن ذلك عجزٌ في اكتساب هذه اللغة وتجده لا يبلغ غايته لذا نجد العلام يشبه اللغة بالصناعة بقوله: واللّغات شبيهة بالصنائع"، ومعنى هذا أن اللغات والصنائع لا تزدحم، اذ من يجيد في صناعة لا يمكن أن يجيد صناعة أخرى وهذا الأمر نفسه ينطبق على اللسان واللغة.

8- فصل في صناعة الشّعر ووجه تعلّمه:

كان الشّعر في عصر قبل الإسلام وسيلة عربية، فقد كان ديوان العرب وعلمُهم الذي لم يكن لهم علم أصح منه، فقد كان فنا أدبيًا بارزًا في الحقبة، وهذا ما صرّح به "ابن خلدون" في قوله :" هذا الفن من فنون الكلام وهو المسمى بالشّعر عنده"[1]، وهكذا كان للشّعر العربي دورًا بارزا في الحياة الأدبية والفكرية والسياسية، وقد كان مصدرا رئيسيا للغة العربية الفصحى سواء في قواعد اللغة والمفردات ويظهر ذلك من خلال بلاغته وقيمته الفنية ولعل ما يميّز الشعر العربي التزامه بالوزن والقافية في مجمل أنماطه ومختلف أجياله.

وأشار العلّام أن البيت في الشعر العربي يتميز بتراكيبه وألفاظه المنسجمة فالبيت الكامل والتام عنده هو البيت الذي يحمل في ثناياه مدحا أو رثاءًا أو تشبيبا، ويحرص الشاعر في

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، كتب الشيخ محمد ناصر الدين الألبانيّ، المصدر السابق، ص518.

القصيدة على أن ينتقل من أسلوب إلى آخر من التشبيب إلى المديح مثلا، وقد يمهد أن ينتقل من غرض إلى آخر مع اختلاف الأساليب أو الموضوعات إلّا أنه يلتزم بالوزن الواحد حيث: "ويراعي فيه اتفاق القصيدة كلها في الوزن الواحد"[1]، وهناك خمسة عشر بحرا أو وزنا في القصيدة العربية لكل واحد منهم شروطه وأحكامه الخاصة به تضمنه علم العروض وهذا ما بيّنه "ابن خلدون" : "ولهذه الموازن شروط وأحكام تضمنها علم العروض"[2]، وقد كان ديوان العرب أشرف وأصح الكلام، وذلك لأن ملكته استحكمت فيهم، نظرا لأنهم قد اكتسبوه (الشعر) بالحفظ والتداول فكان مرجعا موثوقا حسبهم.

فإن اكتساب ملكة الشعر أمر ليس بالهّين، فالمتأخرين سعوا بكل جهد لاكتساب هذه الملكة فوجدوا أن أسهل طريقة هي التّعمق في الأساليب الشّعرية القديمة واستعمالها ومحاولة السّير على منوالها. إن الصّناعة الشّعرية ترجع إلى صورة ذهنية لتراكيب منتظمة التي تنطبق على تركيب خاص حيث لكل فن من الكلام أساليب وتراكيب خاصة توجد في أنحاء مختلفة، وقد ذكر ابن خلدون أمثلة عن هذا الموضوع.

شبّه "ابن خلدون" مؤلف الكلام بالبنّاء والصورة الذهنية المنطبقة التي مثل القالب الذي يبني فيه، فإذا أخطأ في بنائه فهو فاسد لقوله:" فإن مؤلف الكلام هو كالبناء أو النسّاخ

[1]– عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، كتب الشيخ محمد ناصر الدين الألبانيّ، المصدر السابق، ص518.

3–المصدر نفسه، ص519.

2

والصورة الذهنية المنطبقة كالقالب الذي يبني فيه أو المنوال الذي ينسج عليه، فإن خرج عن القالب في بنائه أو على المنوال في نسجه كان فاسدا"[1] ، ان القواعد البلاغية غير كافية لأنها قياسية علمية مثل قواعد اللغة العربية النحوية، لا يرى "ابن خلدون" أن الشّعر هو الكلام الموزون والمقفى فحسب، وإنما هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة والأوصاف، المفصل بأجزائه متفقة الوزن، مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله، والجاري على الأساليب العربية المخصوصة به، كما وضّح الفرق بين الشعر والنثر الفني.

خصص العلّام شروطا للشعر حسبه هي الشروط التي تحدث قصيدة تامة كاملة أولها الحفظ من جنس شعر العرب حتى تنشأ في النفس ملكة الشعر العربي يبني على قالبها، ويختار منه المحفوظ النقي الحر، وأقر "ابن خلدون" أن الشعر الإسلامي أفضل من شعر الجاهليين وذلك من جودة أساليب وتراكيب الشعر الإسلامي لقوله: "وأكثره شعر كتاب "الأغاني" لأنه جمع شعر أهل الطبقة الإسلامية كله، والمختار من شعر الجاهلية" [2]، أما الشرط الثاني هو الإقبال على النظم وذلك بالإكثار منه لتكوين ملكة راسخة في الأذهان وقد نوّه "ابن خلدون" إلى فكرة نسيان المحفوظ على اللسان بعد أن يكون قد ترسخ في عقل الشاعر، هنا بإمكان الشاعر استعمال مصطلحات وألفاظ عصره ولكن بمراعاة قواعد ورسوم الشعر الأصيل، أما الشرط الثالث أن المكان الرائع يلعب دورا هاما في نفسية الشاعر أن:"

[1]– عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، كتب الشيخ محمد ناصر الدين الألبانيّ، المصدر السابق، ص520.

[2]– المصدر نفسه، ص522.

ثم لا بد من خلوة واستجادة المكان المنظور فيه من المياه والأزهار"[1]، فالخلوة تنشط القريحة الشعرية حتى يتمكن الشاعر الإجادة في الكتابة، فمن بنى شعره على هذه الشروط الثلاثة نجد كل من بيت من القصيدة وُضع على قافية واحدة فتكون هذه الأبيات الشعرية مستقلة وبعد الانتهاء من كتابة القصيدة يقوم الشاعر بتنقيح ونقد ما كتبه، حيث يستوجب عليه أن يستعمل أوضح التراكيب والابتعاد عن الضرورات اللسانية النحوية، ولا بد على الشاعر استعمال الألفاظ السهلة واجتناب الألفاظ الغربية والعامية لأنها تزعزع عقل القارئ ولا يتمكن من الفهم وهذا ما بيّنه "ابن خلدون" في قوله: "ولا يكون الشعر سهلا إلا إذا كانت معانيه تسابق ألفاظه إلى الذهن"[2]، وهكذا فإن ملكة الشعر تستوجب عن الشاعر الاهتمام والحرص على القريحة الشعرية وذلك بمراعاة قواعدها وقوانينها في مختلف جوانبها وذلك لتكوين شعر أصيل تام وكامل الملكة.

[1]– عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، كتب الشيخ محمد ناصر الدين الألبانيّ، المصدر السابق، ص522.

[2]– المصدر نفسه، ص523.

9- فصل في أن صناعة النّظم والنّثر إنما هي في الألفاظ لا في المعاني:

إن اللّفظ هو ملكة اللسان، فقد قدّم "ابن خلدون" مكانة عالية وهامة للألفاظ، وذلك في أن صناعة الكلام سواء في الشعر أو في النثر يكون في اللفظ وليس في المعنى، وإنما المعاني تتبع الألفاظ التي هي الأصل، وذلك ما صّرح به "ابن خلدون" في قوله: "أعلم أن صناعة الكلام نظما ونثرا إنما هي الألفاظ لا في المعاني، وإنما المعاني تبع لها وهي أصل"[1]، فنرى كلامه نفس الكلام تماما في رأي الجاحظ الذي يقول: "المعاني المطروحة في الطريق يعرفها الأعجمي والعربيّ والبدويّ والقرويّ والمدنيّ، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللّفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع، وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير"[2]، ففي قوله أيضا فضل اللفظ عن المعنى، فاللفظ هو الذي يكسب المعنى، فضروريا امتلاك ملكة اللسان في النظم والنثر، لأن الألفاظ تضم كل من حفظ كلام العرب ومن حفظ أشعار وآداب فصيحة، كما تجري على اللسان والنطق، حتى يتمكن من التخلص على العجمة التي ترعرع بها في جيله والاحتفاظ على لغة مُضر، وذلك بما صرّح به "ابن خلدون":" فالصّانع الذي يحاول ملكة الكلام في النّظم والنثر، إنما يحاولها في الألفاظ بحفظ أمثالها من كلام العرب، ليكثر استعماله وجريه على لسانه، حتى

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، كتب الشيخ محمد ناصر الدين الألبانيّ، المرجع السابق، ص524.
[2]- الجاحظ، الحيوان، دار الكتب العلمية، ط 2، ج3، بيروت، س1474، ص132.

تستقر له الملكة في لسان مضر، ويتخلص من العجمة التي ربيّ عليها في جيله"[1]، واللّسان نفسه له ملكة النطق وتكرار الألفاظ، وإنما المعاني مكنونة في الأصل بالضمائر، وأن هذه المعاني موجودة عند الجميع وفي طوع كل فكر، وللتعبير عنها يحتاج إلى قوالب لفظية فنية من شعر ونثر تخرج فيها، وكذلك تأليف الكلام وصياغة وتركيب العبارات التي تميز كل أديب عن غيره، ويبرز ذلك في قوله: " فكما أن الأواني التي يغترف بها الماء من البحر منها آنية الذهب والفضة والصدف والزجاج والخزف، والماء واحد في نفسه، وتختلف الجودة في الأواني المملوءة بالماء باختلاف جنسها لا باختلاف الماء"[2]، فالمعاني كالماء، والأواني كالألفاظ، فتختلف الأواني الذهبية عن الفضة، ولكن الماء واحد، فكذلك أيضا جودة اللغة وبلاغتها تختلف باختلاف طبقات الكلام.

10- فصل في أن حصول هذه الملكة بكثرة الحفظ وجودتها بجودة المحفوظ:

إن من يريد تعلم اللسان العربي لا بد من كثرة الحفظ، وعلى قدر جودة المحفوظ تكون جودة الملكة النّاشئة عن هذا الحفظ وذلك حسب قول "ابن خلدون":" قد قدمنا أنه لا بد من كثرة الحفظ لمن يروم تعلم اللسان العربي، وعلى قدر جودة المحفوظ وطبقته في جنسه

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، كتب الشيخ محمد ناصر الدين الألبانيّ، المصدر السابق، ص524، ص525.

[2]- المصدر نفسه، ص525.

وكثرته من قلّته، تكون جودة الملكة الحاصلة عنه للحافظ"[1]، فكثرة الحفظ وجودتها تكسب ملكة. فمن يحفظ "للعتابي" و"ابن االمعتز" و"ابن المفقع" و"ابن الزيات" تعلو ملكته في المقام والرتبة العالية وأحسن ممن يحفظ للشعراء والأدباء المتأخرين، وكذلك في قوله:" فمن كان محفوظه شعر حبيب أو العتابي أو ابن المعتز أو ابن هانئ أو الشريف الرضي، أو رسائل ابن المفقع أو سهل ابن هارون أو ابن الزيات أو البديع أو الصابئ، تكون ملكته أجود وأعلى مقاما ورتبه في البلاغة، ممن يحفظ شعر ابن سهل من المتأخرين أو ابن النبيه"[2]، فعلى مقدار جودة المحفوظ أو المسموع تكون الجودة في الاستعمال، فترتقي الملكة بارتقاع المحفوظ، وينشأ الطبع على منوالها وتقوى بتغذيتها، وتختلف النفس في البشر بحسب ما يرد عليها من ضعف وقوة في الإدراكات والملكات والألوان، كما تتطور الملكات بالتدريج سواء كانت في الشعر أم في النثر أم في العلوم أم في التصوف والروحانيات وتتولى النفس بذلك، وكذلك الملكات داخل النفس، وقد لاحظ "ابن خلدون" أن الفقهاء والعلماء لم يقدموا للشعر والبلاغة أهميتهما الكافية وذلك لامتلاء ملكاتهم بالعبارات الفقهية والقوانين العلمية وذلك في قوله: "وما ذلك إلا لما يسبق إلى محفوظهم، ويمتلئ به من القوانين العلمية والعبارات الفقهية

[1]– عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، كتب الشيخ محمد ناصر الدين الألبانيّ، المصدر السابق، ص525.

[2]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الخارجة عن أسلوب البلاغة والنازلة عن الطبقة"[1]، حيث هذا لاحظّ له في البلاغة ولا في الشعر وهذا لا يسمى شعرا حسب العلّام.

أقّر "ابن خلدون" أن الأدباء المسلمين أعلى فصاحة من أدباء العصر الجاهلي وذلك بسبب معايشة المسلمين للقرآن الكريم مما مكّنهم من اكتساب اعجازه الفصاحي وسرّه البلاغي. كما أعطى العلّام القرآن والحديث المكانة نفسها وبرهن ذلك في قوله هذا:" أن هؤلاء الذين أدركوا الإسلام سمعوا الطبقة العالية من الكلام في القرآن والحديث، الذين عجز البشر عن الإتيان بمثلهما"[2]، وهذا نظرا لأساليبها التي تهذّي النفس مما جعل العرب يكسبون أفصح اللّغات وأصفاها فتذوقوا من جوهرها.

11- فصل في بيان المطبوع من الكلام و المصنوع وكيفية جودة المصنوع أو قصوره:

الكلام مهارة إنتاجية يكون أمام عبارة أو خطاب فهو يعتبر وسيلة للإقناع والفهم والإفادة وهذا ما ذكره "ابن خلدون":" أعلم أن الكلام الذي هو العبارة والخطاب إنما سره وروحه في إفادة المعنى"[3]، فالمتكلم يجب أن يكون على دراية بكيفية تركيب الجمل والكلمات فللبلاغة دورها في كمال الإفادة، حيث يجب على المتكلم أن يتسم بالقدرة على استخدام الأصوات

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، كتب الشيخ محمد ناصر الدين الألبانيّ، المصدر السابق، ص526.

[2]- المصدر نفسه، ص527.

[3]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

بدقة والتمكن من الصّيغ النحوية وهذا فقط بهدف إيصال فكرته إلى المُخاطِب لكي يولّد ملكة الفهم حيث:" إذ لم يتحقق الكلام إفادة المعنى فهو موات مهمل، ولا عبرة به، وإذا لم يتحقق له كمال الإفادة، كان مقتصرا على مقتضيات البلاغة، والبلاغة أصل الكلام العربي سجيّته وروحه"[1]، ففي الكلام الأهمية كلما تعود على التراكيب لا على المفردات لأن الصياغة الصحيحة للتراكيب وتوظيف الألفاظ المناسبة لأنها تؤدي إلى معرفة المعاني والدلالات المقصودة.

قسّم "ابن خلدون" الكلام إلى قسمين هما كلام مصنوع فهو ضروب التحسين والتزيين التي تأتي بعد كمال الإفادة أما الكلام المطبوع فهو الكلام الذي كملت طبيعته وسجيّته من إفادة مدلوله المقصود منه، وقد أشار في نفس هذا الصدد أنه قد يكون الكلام مطبوعا خاليا من الصنعة وهو كلام جميل رائق عذب وفي نفس الوقت أيضا يمكنه أن يكون مطبوعا تضاف إليه الّصنعة، فتزيده بهاءاً ورونقًا، نجد هناك عدة مسلمين قد ألفوا أشعارهم على هذا القبيل و أقاموا منه العجائب وذلك فقط لانبهارهم بالصيغة.

تعددت أصناف هذه الصيغة عند أهلها، فوضعوا لها شروطا منها أن تقع من غير تكلف لأن الإكثار منها تولّد خللاً في التراكيب الأصلية للكلام وهذا بدوره يؤدي إلى عدم تمام الإفادة حيث لا يبقى في الكلام إلا تلك التحسينات فهذه تُذهب وتُفسد البلاغة.

[1]– محمد عيد، الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون، المرجع السابق، ص64.

12- فصل في ترفع أهل المراتب عن انتحال الشعر:

اشتهر العرب منذ القِدم بالشّعر، وقد كان ديوان العرب حيث كان يرفع من قيمة القبيلة ويغّير من مكانتها إلى الأفضل بين القبائل وهذا ما ذكره "ابن خلدون" في قوله هذا: "أعلم أن الشعر كان ديوانًا للعرب، فيه علومهم وأخبارهم وحكمهم"[1]، فبفضل هذا وُضعت المعلقات السبع على الكعبة، ولكن بعدما ظهر الإسلام انشغل العرب عن الشّعر على الرغم من عدم تحريمه (الشّعر) من قِبل القرآن، ولكن بعدما سمعه النبي- صلى الله عليه وسلم- أثاب عليه، ففي عصر النبوّة كان الشعر وسيلة من وسائل الدّفاع عن رسالة الإسلام ضد المشركين ولقي مكانته لدى الخلفاء في العصر الأمويّ والعصر الأول العباسي حيث كان "ابن عباس" يهتم اهتماما بالغًا بالشّعر وذلك بسماعه إلى كلام الشّعراء بكل جديّة. وبهذا أصبح الشّعر شاهدًا وذريعةً إلى فهم الدين والسنة، ولكن بعد دخول الأعاجم بدأ الشّعر يفقد هيبته ومكانته وذلك بسبب ظهور شعراء الصنعة بلا ملكة شعرية حقيقية فتحوّل من وسيلة لحفظ اللّغة وتفصيح اللّسان ومنه تُتخذ الشّواهد والأمثال إلى وسيلة للكذب لذا امتنع عن أهل المراتب من المتأخرين، أصبح تعاطيه مما يعاب به أهل المناصب المرقومة في عصر "**ابن خلدون**" وهذا ما أكدّه: "وأنّف منه لذلك أهل الهِمم والمراتب من المتأخرين، وتغير الحال فيه

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، كتب الشيخ محمد ناصر الدين الألبانيّ، المصدر السابق، ص530.

أصبح تعاطيه هجنه في الرئاسة ومذمة لأهل المناصب الكبيرة"[1]، وبفضل هؤلاء أصبحت ملكة الشّعر في تلك الفترة فاسدة لا تؤدّي غرض الفهم والإفادة.

13- فصل في أشعار العرب وأهل الأمصار لهذا العهد:

الشّعر موجود في كل لغة، عرفه الفرس واليونان وكذا قبائل حِميَر ومُضر، إلا أن العُجمة أثّرت على لغة العرب فالاختلاط بهم ولّد لغة جديدة بين الأمصار، وهذه اللّغة الجديدة تخالف لغة مُضر من ناحية الإعراب والصّرف، وخالفت أيضا لغة الجيل العربي في عهد "ابن خلدون" وهذا ما ذكره: "وخالفت أيضا لغة الجيل من العرب لهذا العهد"[2]، فهذه اللّغة الجديدة التي ظهرت في الأمصار اختلفت بينهم (المغرب والأندلس والمشرق).

ومن المؤكّد نجد أن الشّعر تأثر بهذه الظروف الاجتماعية التي مسّته وذلك لأن لكل لغة من العرب شعر يخصه ويتماشى مع قواعد هذه اللغة وهذا ما أشار إليه "**ابن خلدون**" في قوله هذا:" ثم لما كان الشّعر موجودا بالطبع في أهل كل لسان"[3]، وعلى الرغم من هذه القواعد المختلفة في لغات هذه القبائل إلا أنه نجد الشّعر قد حافظ على أصالة الشّعر العربيّ من ناحية الوزن والقافية.

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، كتب الشيخ محمد ناصر الدين الألبانيّ، المصدر السابق، ص531.

[2]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

أما أهل جيل "**ابن خلدون**" حافظوا على الشعر السلفي وآتوا بالمطولات مستهلة ومعتمدة على أساليب وطريقة الشّعر القديم، إلا أنهم اختلفوا في التّسمية فقط فأهل المغرب سموا قصائدهم بالأصمعيات، وأهل المشرق سموه بالبدوي.

ذكر "**ابن خلدون**" أن أهل جيله ابتكروا فنا آخر في الشّعر حيث يأتون به على أربعة أجزاء بحيث يخالف المقطع الأخير المقاطع الثلاثة في القافية، مع الالتزام بالقافية الرابعة في كل بيت من القصيدة . ويرجع "**ابن خلدون**" ذلك إلى شعراء جيله قد فقدوا ملكة اللّغة وجعلوا هذا الفن بديلاً لها، بهدف تكوين بلاغة سليمة. وإن كان الإعراب لا يوجد فيه، فالمُدقق والباحث في شعرهم يلاحظ أن مجمل كلماتهم وألفاظهم ساكنة لا حركة لها في آخرها، كما لا يمكن التمييز بين الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر إلا بقرينة تدل عليهما وذلك لانعدام حركات الإعراب، وهذا يؤدّي إلى عدم كمال البلاغة في مختلف جوانبها.

وهناك عدة أشعار أُلفت على هذا المنوال ومن عدة لغات مختلفة أيضا (التي ذكرناها سالفا).

،

خاتمة

تعتبر اللّغة وسيلة تواصل مهمة في حياة المجتمع بل يكتسبها الفرد من المحيط الذي يعيش فيه، وتتطور من جيل لآخر مع مرور الزّمن وتنتشر حول العالم، كما تختلف لدى الأمم فلكل مجتمع لغته الخاصة منها اللّغة العربية لكونها لغة القرآن الكريم.

القرآن الكريم هو السّحر الرباني الذي غيّر تاريخ الأمة العربية وقلب موازينها مسّ مختلف ميادينها، ولعلّ أهم شيء استطاع أن يغيّره هي لغة العرب.

اكتسبت اللّغة العربية حلّة جديدة بفضل علمائها المبدعين، فكانت أفصح وأبلغ اللّغات لكونها لغة القرآن، وهذا ما جعل العلماء القدامى والمحدثين يسعون وراء هذه اللّغة العظيمة، فدرسوا جوانبها سواء الصّرفية، النّحوية، الدّلالية والبلاغية، حرصا على سلامة ألفاظها ومعانيها. لذا أولى المفكرون واللّغويون هذه المكانة الراقية للغة، ومن بين أكبر أعلامها نجد "**ابن خلدون**" الذي قيّمها وساهم في تطويرها أكثر حيث خصّص لها باباً في كتابه "**المقدمة**"، فتحدّث عنها واستخرج قواعدها وقوانينها، كما استنبط خصائصها ومميّزاتها.

وفي ختام هذا العمل، وعلى مدار فصليه النّظري والتّطبيقي نصل إلى مجموعة من النتائج:

أ – نتائج الدراسة التطبيقية:

– يعد "**ابن خلدون**" أكثر الشخصيات تأثيرا على السّاحة الفكرية العربية، وذلك بعد ما وصفوه "بالمعجزة العربية".

– أن كتابه "المقدمة" من بين أهم الكتب المهتمة بالموروث اللغوي العربي.

– اللّغة حسب "**ابن خلدون**" تُكتسب عن طريق الاحتكاك بين أفراد المجتمع الواحد.

– الفصاحة هي الملكة الأولى التي أُخذت عن العرب ولم يأخذوها من غيرهم.

– السّماع هو أبو الملكات حسب "**ابن خلدون**"، وذلك لأن تداول وتكرار الألفاظ تولّد صفة راسخة في الأذهان.

– العُجمة أدّت إلى زعزعت اللسان العربي الفصيح.

– الشّعر فن من فنون العرب. لذا نجد "**ابن خلدون**" يدعو إلى الاهتمام ببلاغته لأنها تمثل جوهره وسجيّته.

– اعتماده على الألفاظ في صناعة الكلام سواء من النّثر أو الشّعر.

– أولوية الألفاظ على المعاني حسب "**ابن خلدون**".

– الصُّنعة أدّت إلى فساد لسان العرب.

ب – نتائج الدراسة العامة:

– القرآن الكريم كان الدّافع الأوّل للدّراسات اللّغوية العربية.

– يتميّز الدّرس اللّغوي العربي بالأصالة والدقة.

– الدّراسات النّحوية العربية تتسم بالجودة والغزارة.

– النّهضة العلمية التي شهدتها الغرب كانت سببًا في نهوض العرب من السبات الفكري الذي عرفه منذ الجاهلية.

– احتكاك العرب بالغرب أدّى إلى ميلاد درس لغوي عربي حديث.

– البعثات العلمية العربية إلى أوروبا كانت البداية الحقيقية للسانيات العربية الحديثة.

– يعتبر المنهج الوصفي الاتجاه الذي قامت عليه اللسانيات العربية الحديثة.

– النحو العربي هاجس لدى الكثير من الدارسين الغرب

– اكتسبت اللغة العربية صيغة علمية دقيقة وذلك لمسايرة الركب في الأبحاث اللّسانية المعاصرة.

قائمة المصادر والمراجع

- المراجع

1 – ابن الجني أبو الفتح، الخصائص، ترجمة محمد علي النّجار، دار الكتب المصرية، ط1، ج1، مصر، 1952م.

2 – أحمد أمين ضحى الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتب، ج1، مصر، 1997م.

3 – أحمد بدر، مناهج البحث في علم المكتسبات والمعلومات، دار المريخ، الرياض، 1988م.

4 – الجاحظ، البيان والتبيين، دار مكنية هلال، ج2، بيروت، 1463هـ.

5 – الجاحظ، الحيوان، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1414هـ.

6 – السّعيدي، كلمة اللّجنة التّنظيمية، مختبر التواصل وتقنيات التعبير، نوفمبر، 2000م.

7 – السّيوطي، المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، دار إحياء الكتب العربية، ج1، القاهرة.

8- القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصوصه، تحقيق أبو القصر إبراهيم علي البجاوي، مطبعة عيسى القاضي الحلمي وشركاه.

9 – القهري، اللّسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية ودلالية، ط2، الرباط، المغرب، 1988م.

10- جمادى صمود، التّفكير البلاغي عند العرب، (أسسه وطوره في ق6)، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1985م.

11 – جلال الدّين عبد الرحمان بن أبي بكر السّيوطي، تاريخ الحلفاء، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ط2، قطر.

12 – حسن خميس سعيد، ملخ، نظرية التّعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2000م.

13 – حسن عثمان، منهج البحث التّاريخي، دار المعارف، القاهرة، 1980م.

14 – حليلي عبد العزيز، اللّسانيات العامة واللّسانيات العربية، طبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء.

15 – خديجة الحدفي، أبنية الصرف في كتبه سيبويه، مكتبة النّهضة، ط1، بغداد، 1965م.

16- خلف عودة القيسي، الوجيز في مستويات اللّغة، دار يافا العلمية، عمان، 2010م.

17 – خليل حلمي، العربية علم اللّغة البنيوي، دار المعارف الجامعية، مصر، القاهرة، 1996م.

18 – ربيعة بابلحاج، ملامح التّعليمات اللّغوية عند ابن خلدون، جامعة قاصدي مرباح، الجزائر، 2009م.

19 – سالم العلوي، وقائع لغوية وأنظار نحوية، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2000م.

20 – سيبويه، الكتاب، ت: عبد السلام هارون، مكتبة الخنجقي، ج4، القاهرة.

21 – عبد الرّحمان ابن خلدون، المقدمة، ت: علي عبد الواحد الوافي، دار النهضة، 310، ط3، ج3، القاهرة، مصر.

22 – عبد الرّحمان ابن خلدون، التعريف بابن خلدون، رحلته غربا وشرقا، ت: محمد بن تاوينالطّنجي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنّشر، القاهرة، 1951م.

23 – عبد العال سالم المكرم، الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي، مؤسسة الرّسالة، ط2، 1993م.

24 – عبد الحليم بوفاتح، أهمية الملكة في تعليم اللّغة عند ابن خلدون، جسور المعرفة، جامعة عمار ثليجي، الجزائر، 2017م.

25 – عبد المجيد طيب، تحقيق التراث منهجه وتطوره، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1993م.

26 – عبد المجيد طيّب، منزلة اللّغة العربية بين اللّغات المعاصرة، جامعة أم درمان اللسانية، ط2، مصر.

27 – عبد المقصود محمد، دراسة البنية الصرفية في ضوء اللّسانيات الوصفية، دار العربية للموسوعات، بيروت، 2006م.

28 – عبد الهادي فضلي، مختصر الصرف، دار القلم، بيروت، 2006م.

29 – عبده الراجحي، فقه اللّغة في الكتب العربية، دار المعرفة الجامعة، ط1، القاهرة، 1995م.

30 – عصام نور الدّين، علم وظائف الأصوات اللّغوية، الفونولوجيا، دار الفكر اللّبناني، 1992م.

31 – علاء جبر محمد، المدارس الصّوتية عند العرب، النشأة والتطور، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2006م.

32 – فاطمة فارز، النّص بين الحضور والغياب في اللّسانيات العامة، دراسة لسانية تحليلية، جامعة وهران، الجزائر، 2009م.

33- فردوس نور علي حسين، ابن خلدون شاعرًا، دار الفكر العربي، القاهرة، 2000م.

34 – محمد سيد علي بلاسي، المدخل إلى البحث اللّغوي، دار الثقافة للنشر، القاهرة، 1999م.

35 – محمد عابر الجبري، الخطاب العربي المعاصر، دار الطبعة، ط1، بيروت، 1971م.

36 – محمد عبد الله عنان، ابن خلدون، حياته وتراثه الفكري، دار الكتب المصرية، ط1، القاهرة، 1933.

37 – محمد عيد، الملكة اللّسانية في نظر ابن خلدون، عالم الكتب، القاهرة، 1979.

38- محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار النّهضة، مصر، ط3، القاهرة، 1977م.

39- محمد محمد داود، العربية وعلم اللّغة الحديث، دار غريب، القاهرة، 2005م.

40 – مختار أحمد عمر، البحث اللّغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، عالم الكتب، ط9، القاهرة، 2010م.

41 – مصطفى الشكعة، المطالعات الإسلامية في العقيدة والفكر، دار الكتب الإسلامية، ط2، القاهرة، 1983م.

42- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية، أسئلة المنهج، دار ورد، عمان، 2013م.

43- ممدوح عبد الرحمان، المنظومة النّحوية، دار المعرفة، الجامعة الإسكندرية، 2000م.

44- منير زكي، النّماذج المعرفية الحديثة لاكتساب اللّغوي، توجه تكنولوجي في البحث ووحدة البحث في تحليل الخطاب، كلية الأدب والعلوم الإنسانية، ط1، صفاقس، 2006م.

45- موفق الدّين يعيش بن علي، شرح مفصل عالم الكتب، ج1، بيروت، 643هـ.

46- نهاد موسى، نظرية النّحو العربي في ضوء مناهج النّظر اللّغوي الحديث، مكتبة الوسام، ط2، عمان، الأردن، 1987م.

_ المصادر

1 – عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، كتب الشيح ناصر الدين الألباني، دار ابن الجوزي للطبع والنّشر، ط1، القاهرة، 2009م.

_ المجلات

1 – حسن بن زروق، نظريات حصول ملكة اللّغة عند علماء العرب اللّغة والأدب، معهد اللّغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، العدد5، 1985.

2 – سامي عوض حسن حشود، النّظم من سيبويه إلى الجرجاني، مجلة جامة تشرين، الدّراسات البحوث العلمية، ط17، سوريا، 2002.

3- فوزية سرير عبد الله، الدّرس الصّوتي العربي نشأة وتطورا إلى القرن الخامس الهجري، دراسات لسانية، جامعة البليدة2، المجلد4، العدد3، الجزائر، سبتمبر، 2020.

4- مجلة ميلاف للبحوث والدّراسات، المجلد7، العدد2، المركز الجامعي عبد الحفيظ بواصوف، ميلة، الجزائر، ديسمبر 2021م.

5- محمد بوعامة، التّراث اللّغوي بين سندان الأصالة ومطرقة المعاصرة، مجلة كلية الأدب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، العدد 1، بسكرة، جوان2008.

6- طبيبي غنّية، اللّسانيات العربية، الواقع والآفاق، قراءة في تصور، مصطفى غلفان، مجلة الأداة والعلوم الاجتماعية،المجلد16،العدد3، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف2، 2019م، ص196.

فهرس الموضوعات

شكر و تقدير

إهداء

مقدمة .....أ

الفصل الأول: الدرس اللغوي العربي.....1

المبحث الأول: الدرس اللغوي العربي القديم.....1

1- المرحلة التاريخية:.....1

2- نشأة البحث اللغوي القديم عند العرب: 3

3- مستويات الدراسات اللغوية العربية القديمة:.....6

4- أهم المناهج اللغوية اللّغوية العربية القديمة: 12

المبحث الثاني: الدرس اللغوي العربي الحديث: 16

1- نشأة الدرس اللغوي العربي الحديث.....16

2- علاقة الدرس اللغوي الغربي بالعربي:.....19

3- أهم المدارس اللسانية العربية 22

4- المناهج اللغوية العربية الحديثة: 24

خلاصة الفصل الأول 35

الفصل الثاني: جهود ابن خلدون اللغوية في "المقدمة".....37

المبحث الأول: منهجية البحث وأدوات الدراسة. 37

1- وصف المدونة: المقدمة لابن خلدون:.....37

المبحث الثاني: رصد مواضع النظر اللغوي في "المقدمة" – دراسة وصفية تحليلية-.....45

1- فصل في أنّ اللّغة ملكة صناعيّة: 45

2- فصل أنّ لغة العرب لهذا العهد مستقلة مغايرة للغة مُضر ولغة حِمْيَر: 48
3- فصل في أن لغة أهل الحضر والأمصار لغة قائمة بنفسها مخالفة للغة مضر: 51
4- فصل في تعليم اللسان المضري: 54
5- فصل في أن ملكة هذا اللّسان غير صناعة العربية ومستغنية عنها في التعليم: 55
6- فصل في انقسام الكلام إلى فني النظم والنثر: 57
7- فصل في أن لا تتفق الإجادة في فني المنظوم والمنثور معا إلاّ للأقل: 59
8- فصل في صناعة الشّعر ووجه تعلّمه: 60
9- فصل في أن صناعة النّظم والنّثر إنما هي في الألفاظ لا في المعاني: 64
10- فصل في أن حصول هذه الملكة بكثرة الحفظ وجودتها بجودة المحفوظ: 65
11- فصل في بيان المطبوع من الكلام والمصنوع وكيفية جودة المصنوع أو قصوره: 67
12- فصل في ترفع أهل المراتب عن انتحال الشعر: 69
13- فصل في أشعار العرب وأهل الأمصار لهذا العهد: 70
خاتمة 74
قائمة المصادر والمراجع 78
فهرس الموضوعات 83

ملخص

أُثّر القرآن الكريم على الدّرس اللغوي العربي فغيّر من مادته و منهجه، فبفضله عاد العرب إلى الاهتمام باللّغة العربية بوجه جديد، فعملوا على إرساء قواعدها و تحديد جوانبها و ذلك من خلال مؤلفاتهم القيّمة و المتعدّدة من أجل فهم لغة القرآن بالدّرجة الأولى. إنّ الدّرس اللّغوي العربي الحديث ما هو إلّا امتداد للدّرس اللّغوي القديم مع لمسة علمية بعد التّأثر بمبادئ الدّرس اللّساني الغربي. هناك عدّة علماء دعوا إلى الاهتمام باللّغة و لعل من أهم هؤلاء العلماء "**ابن خلدون**" الذي أولى عناية خاصة للّغة العربية، حيث سعى إلى وصفها و ضبطها و تطويرها و الاهتمام بشتى علومها من أجل استخراج خصائصها و مميّزاتها.

الكلمات المفتاحية: اللغة، ابن خلدون، القرآن الكريم، الفصاحة، اللّسانيات العربية.

Abstract

The impact of the holy Qur’an on the Arabic language lesson he changed his subject and method, thanks to him the Arabs retuned to interest in the Arabic language in a new way, they did to establish its bases and define its aspects and this is through their valuable and the language of the Qur’an in the first place. The modern Arabic linguistic lesson is nothing but an extension of the old linguistic lesson with scientific touch after being influenced by the principles western linguistic lesson. There are several scholar who called for attention to the language, and perhaps most important of them is **“Ibn khaldun”**, who paid special attention to the Arabic language, as he sought to describe, control and develop it, and pay attention to its various sciences in order to extract its characteristics and advantages.